ديوان البارونى

نُشِرَ بإشراف

زعيمة البارونى

319

319

مكتبة دار سلم
تم ومقرها الكتب القديمة
56 : ميزان رقم
طرابلس

ديوان البارُوني

للمجَاهِد سُليمان بن عَبد الله البَارُونيْ

ديوان

البارونى

لناظمه الفقير الى مولاه الغني سليمان بن

عبد الله البارونى النفوسي كان

الله لهوحقق آماله

(حقوق الطبع محفوظة للناظم)

طبع بمطبعة الازهار البارونيه

(لصاحبها سليمان البارونى وأخويه)

في الحبانيه (بشارع محمد علي) بمصر

جمادى الاول سنة ١٣٢٦

الإهداء

إلى شهداء الحق على هذا التراب الغالي ،

إلى أبناء هذا الوطن الطاهر العاملين لحفظه سعيداً بدينه ودنيـاه في ظلال الإسلام المجيد وشريعته السمحاء الذي قدم أمثال الباروني في نصرته أعز أوقاتهم وما يملكون .

إلى الصادقين مع ربهم من أبناء الأمة الكريمة والمصدقين بالاباة المخلصين .

مع التحيات العاطرة لذكراهم .

بنت الوطن

ز. البارونية

في ١٥ شعبان سنة ١٣٩٢ هـ
الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٧٢ م
طرابلس – ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لا شك أن التقديم فن كغيره من الفنون ، سواء فنون العلم أو الكتابة أو غيره ، وهذا الفن المجيد يعرفه من وفقهم الله فيه ، سواء كان المقدَّم له كتاباً علمياً أو أدبياً أو تاريخياً أو كان ديواناً من الشعر ، كما ان للشعر هو الآخر اليوم أنواعاً ، كانت ولا تزال تتوسع وتكاد تطغى على الشعر الموزون ، وهذا أيضاً ما يعرفه من هم أصحابه من الدارسين لتطوراته المستمرة خصوصاً في الأمة العربية الكبيرة في ظروفها الراهنة ، فأنا لا أدعي معرفة كبيرة ولا دراسة عميقة ، إنما أقدم ما جمعته من أشعار المغفور له والدي (سليمان الباروني) المطبوع منه منذ سنة (١٣٢٦ هـ) وما لم يطبع منه وبعضه نشر في الجرائد والمجلات في حينه ، مسرورة لتوصلي لجمع ما أمكنني جمعه ويحدوني لذلك ما يلي:

١ – عقيدتي في أنه قول يطفح بالصدق والأمانة والشهامة وحب الفضيلة والأوطان وما يجر لذلك .

٢ – إعطاء هذه الخلجات للمطلع عليها الصورة المتسلسلة لأيامه التي عاشها منذ أوائل شبابه بين الحلو والمر .

٣ – تسجيله للأحداث التاريخية حباً للحقائق وللتاريخ الصحيح ، حباً عميقاً

خالجه إلى آخر قطرة من حياته .

٤ – تساؤل المطلع على ديوانه الذي نفد منه مـا تركه رحمـه الله مطبوعاً ، وقوله : وأين ما قاله بعد هذا ؟؟

وفوق هذا ما دمت لا أجد من يتحمس لتقديم مخلفاته في الظروف المستعجلة التي تلازمني دائماً والأمر لله .

فإني يسعدني أن تترك مخلفات من تركوا هذا العالم بكل احترام (تقـدم نفسها بنفسها) فمن فطر على استقصاء الحقائق لا شك يتجاوب مع آثار الراحلين بكل محبة يستحقونها إن شاء الله .

إذاً مع (البارونى) منذ دخوله ساحات العلم الجليـل في الجامـع الأعظم بتونس الخضراء سنة (١٣٠٥ هـ) إلى مـا قبل وفاته بأشهر معدودات سنة (١٣٥٨ هـ) وهو في عمان العربية ، يبذل في سبيل الواجب بقية دمائه إلى أن سقط ليحتضر وله في مدينة بومبي الهندية يوم واحد لا غير ، وفارق الحياة يوم أول مايو ١٩٤٠ م وهو يوم ٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٥٩ هـ رحمه الله وأنزله مـع المخلصين المكرمين عند ربهم ؛ آمين .

بنت الوطن وابنته المخلصة

زعيمة البارونية

في ٦ شعبان سنة ١٣٩٢ هـ

الموافق ١٩٧٢/٩/١ م

طرابلس – ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أفصح من نطق بالضاد من النبيين ، المنزل عليه ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴾ وعلى آله الأتقياء وأصحابه الأولياء ، أما بعد .

فقد كثر طلب أصدقائي مني تدوين ما نظمته من القصائد وطبعه وإذ لم أجد بداً من المساعفة بادرت بالاجابة غير غافل عن أن « كتاب المرء عنوان عنه »، وان ما قلته لم يكن في درجة ترضي فحول الشعرا ، أو يصبو إلى مطالعته عشاق الأدب والأمرا ، وان أصدقائي لم يخف عليهم ذلك إذ ليسوا ممن « يعرف الحق بالرجال » وما حملهم على الطلب إلا محض الوداد ، ومـا أجبت إلا لأرضيهم وأخـدم أرباب الاصلاح والانتقـاد ، مؤملاً أن لا أكون من حزب للحق لا ينقادون ، وأن لا يشملني قوله تعالى ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً وصلاة وسلاماً

قلت القصيدة الآتية في مدح جلالة مولانا السلطان «عبد الحميد» يوم احتفالنا بافتتاح مدرسة « يفرن » المعروفة الآن بالبارونية وقد حضر فيه سعادة عزت باشا متصرف اللواء إذ ذاك والموظفون كافة والأعيان من بلاد متعددة، وخطبت بها بعد خطبة الباشا وكان ذلك يوم ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هجرية :

(٣٢٢)

ظهرت محاسن ذا الزمان فقابلت ... بالبشر والاقبال والخير المزيد
اذ عاد [١] تشييد المدارس قربة [٢] ... في ظل سلطان الورى عبد الحميد
ابن المليك المرتضى والمجتبى ... وأميرنا فيما مضى عبد المجيد
جاد الزمان على الأنام به فمذ ... نشر العدالة زلزل الركن العنيد

(١) أي كما كان في الزمان الأول .

(٢) أي إلى الله تعالى بعد أن كان الناس ينسون ذلك لعموم الجهل فلم تبق قيمة عندهم للعلوم ولا قدر للمعارف حتى خربت المعاهد العلمية وتلاشت اوقافها وأصبح كثير من العامة يجهل أن إحياءها قربة إلى الله تعالى .

دامت له الرايات قاهرة العدا ... فاحرسه بالظفر المؤبد يا مجيد
أسد الملوك به المشارق أشرقت ... وبه المغارب حفّها الرعب الشديد
(ملك تربع في أريكة ملكه ... ما بين سيطرة وتدبير سديد)
ساد الأنام ، برى السهام ، حمى الحمى ... أهدى السلام فنال منا ما يريد
نشر المعارف والعلوم وبثها ... بمدارس عليا بها الدنيا تميد
خرق [١] الجبال بنى القلاع وشادها ... ملأً البحار بآلة الحرب الجديد
مد الخيوط [٢] وقى الشطوط موجها ... نحو الحجاز مراكب [٣] الخط الحديد
قل داعياً آمين يا هذا فما ... عز الخلافة في سوى عبد الحميد
كل الأنام على اختلاف شعوبها ... خضعت لدولته ودانت من بعيد
فهو الرفيع إذا رأيت مكانه ... وبكهرباء الفكر أقرب من وريد [٤]

(١) أي لتمد فيها قضبان السكك الحديدية .

(٢) أي الأسلاك التلغرافية . ولا تنس أيها القارىء أن الهمة جارية في استخدام التلغراف الهوائي (الذي لا سلك له غير الهواء) وقد فتحت له بعض مراكز في بعض الجهات العثمانية « درنه . ورودس » .

(٣) السكة الحديدية الحجازية التي حيرت دول أوروبا وأدهشتها وستصل المدينة المنورة إن شاء الله يوم عيد الجلوس السلطاني في أوائل شهر شعبان المعظم سنة ١٣٢٦ ويكون الاحتفال بها عظيماً جداً .

(٤) أي بواسطة الجواسيس المنتشرين في أنحاء المملكة الذين لو عدلوا في خطتهم لكان نفعهم عظيماً ولكن جاروا فأصبحوا وهم أشد ضرراً للدولة والأمة « خفف الله وطأتهم وبدد جراثيم الفساد » .

خطبت مودتـــه الملوك تقرباً ... وتوقّياً من حـــد صيقله المبيد
الله من ملك عظيم زانـــه ... ملك جليـــل قاهر أسد فريد
في عصره فلك السعادة والثنا[1] ... جـدّ المسير ودار في دور جديد
فيه استقام لنـــا بشامل عدله ... تجديد مدرسة[2] لهـا عمر مديد
خدمتك مدرسة البروني إذ غدت ... تشدو بنصرك في مصادمة العنيد
ولسان حال دروسها وربوعهـا ... ماعمرت يرجو لك النصر الأكيد
في عصرك المعمور ذي الفخر الذي ... بهر العقول وحيّر الفكر الرشيد
شبت وعاد لهـــا الصبا فترنحت ... طرباً وقالت في الورى عبد الحميد
لولاه ما حفظت لطيبة روضة ... كلا ولا كانت حضارتكم تزيد
لولاه ما عمرت مدارس طالمـا ... هجرت فنور ليلهـــا للمستفيد

يا أيهـــا الحبر السياسي اطنبن ... في وصف واسطة من العقد النضيد
بالله قـلْ واصدع بحق لا تهب ... لوم العذول وجد بإتقان النشيد

---

(١) هذا البيت مما تفضل علينا والدنا حفظه الله بنظمه إذ وجد مكانه بياضاً أثناء مطالعته القصيدة متعنا الله بحياته وكافأه بالجنة آمين .

(٢) أنشأ هذه المدرسة في صدر المائة الثالثة عشر بعد المائتين والألف ذلك الحكيم الروحاني صاحب المبرات الطويلة الحاج سالم أبو الهول اليفرني ثم أخنى عليها الدهر وتداعت إلى الخراب والتلاشي بعد وفاته وتشتت أوقافها في تونس بالبيع خصوصاً على أثر دخول فرنسا وهي الآن مجددة عامرة والحمد لله .

هل في الدّنا[1] ملك يقاس بملكه ... هيهات[2] إلا أن يؤسس من جديد
كم نعمة أسدى وكم أهدى الورى ... مناً وكم من مجزم أضحى طريد
عمّت عنايته جبـال الغرب إذ ... صدرت إرادته لذي الحكم السديد
أعني « محمد عزت » المحمود من ... بالعدل لا زالت محبتـــه تزيد
سادت بنيّره الجبـال وأشرقت ... وتشرّفت وتزينت وغـدت تميد
لا زال محمود الخصال مكرمـاً ... متنعمـــاً بمكارم الملك الفريد
سلطاننـــا ووليّ نعمة حزبنا ... وخليفـة المختـار نبراس الشهيد
(صلى عليه الله ما بـــدر بدا ... وصفا السما وعلا الهدى وهمى الجليد)
وعلى صحابته الأجِلة مـــا غدا ... علم الهدى متصديـــاً للمستفيد
أو ما البروني تاه في الترصيع مذ ... نال الرضا والعفو من عبد الحميد
والآل ما ختم البنا واستفتحت ... للعلم مدرسة بذا العصر السعيد

•

---

(١) أي الدنيا .

(٢) لو أطاع الانسان اللسان لأصبح في خبر كان ، كان هذا الشطر في أول الحال هكذا : « هيهات ما كل الورى إلا عبيد » وبعد التنبه استبشعناه فأبدلناه بما تراه .

وقلت في الاحتفال بأول السنة الثانية وتعهدت بأن أنظم كل سنة قصيدة على هذا البحر والروي ولكن لله درّ من قال :

« يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما يريد »

. . .

عام جديد عاد فالبشرى بـــه والعود أحمد ما بدا فرح جديد
بالأمس كنا والهوان يسومنا[1] في ظلمة فأزاحهـا عبد الحميد
فصفا الزمان لنا وسهل سيرنا في موجبات البر والرأي السديد
وغدت مدارسنا يعمر ربعهـــا بالذكر والذكرى وإتقان النشيد
حق لهـــذا اليوم أن يحيى إذاً بمحامد ابن المرتضى عبد المجيد
من في حمى سلطانه سعد الورى وعلا الهدى والكفر أضحى كالطريد
حق له وله الفخـار ومـــا له مثـل من الأيام في الدهر المديد
فيه استهـلّ هلال بدر المصطفى صلى عليـــه الله من بدر فريد

---

(١) كنا لا علوم ولا أمن بل ما كان في أرجاء الولاية كافة إلا القتل والنهب والغارة حتى أصبحت وغالبها خلاء وتشتت أهلها في الشرق والغرب ولم يبق فيها من السكان على سعة مساحتها ما يقارب سكان تونس الضيقة بالنسبة إليهـا ولولا مجيء الدولة الاسلامية العثمانية لصدق عليها قول الشاعر :

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

أدام الله أعلامها خافقة بالنصر فيها .

وبه سرى وأتى المدينة بل غدا[1] في مثل هذا اليوم مرحوماً شهيد
وبه بظـل مليكنا وبعدلـــه عقـد افتتاح أمّه الشهم الوحيد
ذاك الجليل السيد المتصرف الـ محمود عزت صاحب العقل الرشيد
نحييه مـــا دامت وأيم الله في أرجائنـا أمراء من عبد الحميد
نحييه تذكاراً لآثارٍ بـــدت غرراً لطلعة ذلك العصر السعيد
نحييه مـــا سطعت لأحمد سنة في مثل هذا اليوم بالذكر المجيد
نحييه لا نصغي الملام ولا نرى[2] للعذل وجهاً في التقدم والمزيد
(نحييه) ما دمنـــا فإنا في حمى أسد أتاه الله تسوية العبيـــد
نحييه وهو أحق بالإحياء يـــا من رمت أن لا نستقيم ولا نفيد
نحييه ما عرش الخلافـــة عامر من آل عثمان أشداء الوعيـــد

---

(١) هذا على رأي من قال ان ولادته وإسراءه ووفاته ﷺ كانوا كلهم في يوم ١٢ من ربيع الأول إلا أن هناك أقوالاً غير هذا .

(٢) رأى بعضهم أن تجديد هذا الاحتفال كل سنة قد يعد في نظر الحكومة مظاهرة وربما ينشأ عنه ما لا يحمد لا سيما وأن مثل هذا مما يتوقف على إرادة سنية في زعمه ونحن لم نطلبها أو لم ننلها (هكذا قيل) وهو وهم إذ لم نسمع أن الدولة أيدها الله منعت أو عاقبت أحداً على الاحتفال بيوم المولد الشريف الذي خصصناه نحن لتجديد هذا الاحتفال لنؤدي وظيفتين في آن واحـد ومن لم يرد أن يكون للمدرسة فيه نصيب فليعتبره نبوياً محضاً وليترك الكلام . وبعبـارة أخرى فلتكن القضية حمارية (المسألة المشهورة في فن الميراث) أو فليسمهـا المعترض بما شاء وهي جارية على ما شاء الحق وشئناه .

نحييه لا نرضى التهـــاون إننا قوم على نهج الهداية لا نحيـــد
قوم بآثـــار الصحابة نقتـدي بعد الرسول ومن محبتهم نميـد
قوم لنا خلف على سلف روى أن الكرامة في التقى لا في التليد
قوم بفضل الله أدرك جلّنـــا سر السعادة إذ تلا آي الحديد[1]
يا أيهـــا النجباء جدوا في العلا فالعمر ظل والموقت لا يزيـد
ودعوا الكرى للجاهلين وشمروا إن الكسول من الورى بئس البليد
لا زلت مدرسة البروني في الهنا[2] والروض منك مفتح للمستفيد
(عمرت ربوعك بالعلوم وأزهرت كالأزهر المعمور ذي الصيت البعيد)
فيك الدروس تنوعت وترنم ال حفاظ في الأسحار بالذكر المجيد
فليهنك العمران وليهنَ التلا ميذ الكرام نجاح حال لا يبيد
في سطوة المحمود مرجع أمرنا ذي الظفر في أعدائه عبد الحميد

●

وخطبت ليلة جلوس الشاهاني في المدرسة التحضيرية بمصر بهذه القصيدة بعد نثر مناسب للمقام ١٣٢٤ :

طرب الهزار وعمت البشرى فما هذا السرور أأقبل العام الجديد ؟

(١) سورة الحديد كلها حكم عالية ومراشد سامية ولو اقتصر القارىء فيها على قوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » - الآية « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » مع ما ضربه من المثل في قوله تعالى : « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو » – الآية . لكفاه نذيراً .

(٢) المراد الدعاء لا الإخبار .

أم عـــادت الأيام تبدي شهرة في كل يوم قيـل فيه اليوم عيد
لا لا ومـا كل الزمان بواحد أحيى النفوس بعرفه يوم سعيد
يوم بـــه الإسلام أضحى لابساً تاج الفخـار ونال عزاً لا يبيد
يوم بـــه ساد الهنـا وازّينت بعقوده غرر الزمان وكل جيـد
« يوم بـــه ابتهج الأنام وقلدت فيه الخليقـة أمرها عبدالحميد »
في مثـــله برز الهدى متسنماً عرش الخلافة من سلالة بايزيد[1]
يوم بـــه نلت الوقوف بمنبر لشبيبة العصر المنيرة كي أفيد
فاقول والأدبـــاء تعلم أن لي جملاً أشير بها إلى معنى بعيـد
عبد الحميد خليفة الإسلام كم[2] في الخافقين اليوم من حصن يميد
عبدالحميد لأنت حقـــاً ملجأ للدين والدنيا على رغم البليـــد
عبد الحميد حميتنـــا بمهنّـــد فغدا المجادل عن مرادك لا يحيد
عبد الحميد قلوبنا ملئت فقـــل قوموا نقم وإلهنا عنـــا شهيد

(١) السلطان « بايزيد » الأول هو رابع سلاطين آل عثمان بن السلطان مراد الأول بن السلطان أورخان الأول بن السلطان عثمان مؤسس هذه الدولة الإسلامية سنة ٦٩٩ هجرية المولود في ٦٥٦ المتوفى في ٧٢٦ المدفون في مدينة بورصه وإليه تنسب الدولة العثمانية .

(٢) ليس المراد مجرد الإخبار بل هناك نوع من التنبيه فتدبر في هذا البيت وغيره تدرك المراد .

عبدالحميد حييت دهراً قابضاً ... لزمام ملكك حائز العمر المديد
كم من منابر باسمك المحبوب قد ... صدحت بهذا اليوم يا عبد الحميد
(كم مظلم أضحى لعيدك نيراً ... كم صامت[1] أمسى يرددنا النشيد)
لامين لا وعظيم ملكك فالورى ... من راح حبك ما بقيت لهم يزيد
(شهد الكواكب في السما أو في الفضا[2] ... والأرض والثقلان أن اليوم عيد)
فتجملت مصر بباهر حلة ... وتلألأت أنوار حافات المشيد
كم من قصور شاهقات زانها ... بالكهربا شكل به الخضرا تميد
كم من عساكر والبنود[3] تحفها ... تصطفّ يخجل نظمها العقد الفريد
تدعو بنصرك والقلاع تجيبها ... والأنس نام والمسرة في المزيد
كم من منابر بالمجامع شيدت ... وترنم الخطباء فيها بالنشيد
فاقبل تهاني المخلصين خطيبهم ... في مصرهم يشدو على رغم العنيد
أعلامك الحمراء تخفق فوقهم ... (عباسهم) بالبشر يبسم عن نضيد
ولسان حال الكل يلهج قائلاً ... أنت المطاع فما تشاء وما تريد
وكذاك كل موحد مهما يكن ... فوق البسيطة في جموع أو وحيد

---

(١) المراد الجمادات الناطقة في هذا العصر عصر الغرائب ومنبع العجائب كآلة الفونغراف والتلفون .

(٢) بناء على أن لا سماوات على الترتيب المألوف وأن الكواكب كلها سابحة في الجو .

(٣) البند هو العلم الكبير (في العسكر) .

حتماً يدين بطاعة لخليفة الإ ... سلام جهراً لا يرى عنها محيد
قلدتها فطفقت تنظم عقدها ... بسياسة مسبارها الفكر السديد
(براً وبحراً بالقلاع حرستها ... وعلى الثغور يذود جحفلك الشديد)
وجهت للحرم الشريف عناية ... ومددت من بغدادنا سكك الحديد
مهدت من سبل المعارف ما به ... سهل التناول فاستبحت لها البريد
(ذللت كل الصعب أعليت الهدى ... واصلت بالأسلاك عرشك للمريد)
ألّفت بين قلوبنا فتعانقت ... بالهند فاس والولاء غدا أكيد
أبديت ما لم يبده القدماء من ... آبائك العظما إلى عبد المجيد
فقذفت رعباً في قلوب[1] طالما ... خرقت سياستها بحوراً من جليد
(عجزوا[2] وقد رمقوا الردى فتعاهدوا ... ضلت مداركهم عن البيت القصيد)

---

(١) تلك الدول الأجنبية التي لم تفتر لحظة عن مد يديها وتوسيع نطاق ممالكها شرقاً وغرباً بل هي بصدد البحث للتوصل إلى الوقوف على دواخل البحر المتجمد والدخول إلى ما تحت القطب الشمالي لاكتشاف ما فيه ولا زالت ترسل البعثات لذلك فمن ذاهب ضحية البرد الشديد ومن راجع صفر الكف ومن فقيد لا يعلم له مقر إلى الآن « والقوة لله الواحد القهار » .

(٢) إشارة إلى ما قامت به بعض الدول أخيراً كروسيا وانكلترا وفرنسا من التحالف وعقد المعاهدات والتزاور لما رأته من النهضة الشرقية عموماً وتيقظ المسلمين خصوصاً بعد مسألة العقبة فأدركت أنها أمست على خطر عظيم، وليست هذه النهضة براجعة إلى وراء مهما يكن من الأمر بل لا بد أن يتم دورها الطبيعي لأنها شديدة العواصف وسيكون من الانقلاب ما لا يعلمه إلا الله .

فليحمد الأقوام حالاً[1] نالهم فيه اكتساب أو فمولانا شديد

لاحت دلائل حققت فيك الرجا يا كعبة الآمال يا وجه السعيد

حقق رجاء أنت تعلم أنه

سئمت مسامعنا من العهد الجديد[2]

(مدح الألى مدحوا وما مدحي سوى

بذل الرشاد وان تكن أنت الرشيد)

أنت الذي يرجى لها فانهض ولا تسمع مراشد من يقول كما يريد[3]

ابسط يديك إلى الجهات مراقباً قطب الشمال وجاوزن بحر السفيد

أيامك الغراء إقبال فلا تمهل وحرّك ساكناً كي تستفيد

---

(١) بأن يصافوا المسلمين ويتركوا ما ارتكبوه من الضغط عليهم وعلى غيرهم من أهالي مستعمراتهم وإلا فستنفجر مراجل غيظهم يوماً ما بسبب ذلك الضغط الشديد الطويل كما جرت العادة الطبيعية بالسر الإلهي في كل شيء بلغ منتهاه فتصبح أوروبا متقلصة الظلال منطوية الأطراف « الأمر الذي لا زالت تتوقعه وما هو ببعيد » .

(٢) المراد معناه البعيد وهو ما ينشره المبشرون المسيحيون ليغروا به جهلة المسلمين .

(٣) هم بعض المقربين الذين لا يزالون عرضة للاصلاح ولا همّ لهم سوى منافعهم الذاتية، خرب الملك أم عمر. وكان الشطر في أول الأمر هكذا « تسمع مقالة خائض فيما يريد » فهذبناه بما رأيته .

عش سالماً منصور أبطال سموا بعظيم نصرك في مطاردة العنيد

تختال في حلل السيادة رافلاً برياض أنس زاهرات كل عيد

وسموّ « عباس » المفخم فليعش في عز ملك شامخ شهماً رشيد

وعلى النبي محمد صلوات من جعل الخليفة بعده عبد الحميد

ما ابن البروني هزه طرب الرضا والعفو قبل نهاية الحكم الشديد

. . .

وقد قلت قبل الخطبة بهذه القصيدة هذه الأبيات إذ رأيت المجتمع عظيماً مهيباً جامعاً لفحول العلماء والوزراء وقناصل الدول وغيرهم من أرباب الحيثيات ومكاتبي الجرائد العربية وغيرها .

ماذا أقول وقد وقفت بموقف حرج به الأدبا إلي تشير

(فإن استقمت نجوت من لمزاتهم وان اضطربت خجلت حيث أسير)

فليغضض الأدباء طرف ذكائهم حتى أمرّ ومنطقي مشكور

ما قلت ذا خجلاً ولا وجلاً ولا عياً ولكنّ المقام خطير

. . .

وقلت أيضاً في الآخر خطاباً لناظر المدرسة ورئيس الجمعية السيد أفندي محمد الخطيب المشهور :

يا سيد ما أنت إلا سيد للنشأة الزهرا دليل كالعلم

شهم إذا ما رمت قصداً للعلا بحر السياسة إن تناولت القلم

بطل إذا ما شئت إعلان الولا تسمو بك الأوطان يا بيت الحكم

أحييت جهراً ليلة سدنا بهـــا ... كل الورى وبها انجلت عنا الظلم
في يومها جلس الخليفة بالرضا ... عبد الحميد على الكيان المنتظم
عرش الخلافـــة فاتحاً بيمينه ... باب الصفا وشماله سيف النقم
ما قامت الأعيـاد لولا يا فتى ... ذا العيد أو كانت على وشك العدم
مـــا لا تتم الواجبات بغيره ... حق اتفاقاً والأصول بذا حكم
عابوك حقداً شان كل مهذب ... ذي نعمة والله يجزي من ظلم
دع خائضاً في غيه واصبر كما ... صبر الكرام الأولون من الأمم
ولك الثنا والشكر من كل الملا ... في دائرات الحرب أو حال السلم
ولمثل ذا فليعمل الأقوام أو ... فليفسحوا عند الزحام لمن عزم
فالفخر فعل لا مقال فكاهـة ... والدين بالأفعـال والأقوال تم

●

اتهمتني حكومتنا السنية سنة (١٣١٦) وأنا قادم من مصر فالجزائر فتونس بسوء النية نحوها لوشاية من أرباب الأغراض يعلمهم الله (والله يعلم اني بريء)، فقبضت على ما سبقني من متاعي إلى طرابلس ووجدت فيـــه بعض أوراق ومكاتبات فسّرت بعض عباراتها بما شاءت وأولت المبهم منها كما أرادت، وبمجرد وصولي أوقفتني في دائرة البوليس ممنوع الاختلاط وتشكلت لجنة مخصوصة لأخذ التحقيقات مني، فهاج الرأي العام واستاء العقلاء لما علموه من اخلاصنا وصدقنا وكادت المسألة تؤول إلى ما لا تحمد عاقبته. ثم تقررت براءتي بالأكثرية من مجلس الاستئناف بإشارة من دولتلو الوالي هاشم باشا إطفاء للحركة وتسكيناً للخواطر مؤقتاً في الحقيقة على شرط أن أقدم كفالة معتبرة يضمنهـا حضرة والدي وأن أحلف اليمين اللازم على المصحف . وقد وقـــع كل ذلك في مجلس خاص في

المتصرفية، ثم طلب الوالي حضوري إليه ليفهمني بالكيفية مـع بعض الوصايا وكان معـــه دولة الغيور على الانصاف (رجب باشا) وسعادة مدعي عموم الولاية الذي لم يأل جهداً في معارضة تلك البراءة (لحاجة في نفس يعقوب) وبعد أن تلقيت التعليمات اللازمة وودعت خطر لي ارتجالاً ما سيأتي فحررته وقدمته في الحال :

قدرتم[1] فبسطتم سحب حلمكمُ ... فامطرت بزلال العفو والكرم
فعمّ عفوكم جلّ الورى وغدا ... لابن البروني حظ وافر القسم
وإذ غدا برياض العفو مغتبطاً ... وفي ظلال الرضا يختال في النعم
غنّى ارتجالاً فقال الفضل فضلكم ... والعفو عفوكم المنجي من النقم
والجود جودكم والعدل عدلـكم ... والحلم حلمكم والغير كالعـــدم
لعدلكم (هاشم) قد هشم الجور وام ... تد الهناء وصار الصيت للسلم
قد أعطي السهم للرامي فلا سبع ... يعدو ولا ثعلب يا راحة الغنم
دمتم بأوج العلا والسعد يخدمكم ... والعون يحرسكم في الحل والحرم

(في لحظات الرضا من أعين المرتضى
من عدله في الورى نور على العـــلم)

(عبدالحميد) أمير المؤمنين ومن ... من عيبه أنه للكفر ذو النقم
انصره يا ربنا نصراً تعز بـه ... دين النبي الأمين الواسع الكرم

---

(١) بضم ميم الجمع ومثل هذا كثير فلينتبه إليه .

عليه أسنى صلاة الله ما نصرت ... جيوش عبد الحميد المفرد الحكم

كذا صحابته الغر الأفاضل ما ... شمس تجلت فغابت أنجم الظلم

وما تألم مسجون وما ختمت ... محاكم العدل بالإعفا من العدم

ما مضت سنتان تقريباً من يوم نيلي للبراءة حتى صدر الأمر من المرجع العالي بنقضها وعزل أعضاء مجلس الاستئناف الحاكمين بها – عدلاً لا محاباة أو انتفاعاً – بسبب الوشايات التي تكاد تكون (تنزيلاً من حكيم حميد) لا تقبل النسخ ولا التحقيق، وآل الأمر بعد مدة من صدور الأمر إلى إحضاري بين صفوف العساكر المسلحة تحت رئاسة ذي الرفعة (محمد بيك الأسير) الشامي قائمقام (فساطو) في مدة الوالي (حافظ باشا)، ذلك الشهم المتعفف الميال للاصلاح والحق (وكان ما كان) وفي الحال بلغ إلي الحكم بالابعاد خمس سنين وبمساعي الوالي وغيره قبلت مني ضمانة من معتبري الولاية والمتصرفية وبقيت تحت المراقبة وفي ذلك الأثناء وأنا داخل القلعة قلت :

الروض باكرها الغمام وهزها ... روح النسيم فغنت الأطيار

وتعانقت أغصانها وتبسمت ... منها الزهور وفاحت الأنوار

وبدا لألحان الحمام ترنم ... باسم الجليل المجتبى المختار

والي الولاية (حافظ باشا) الذي ... من حسن سيرته المجالس حاروا

بالحق والعدل المنير علا له ... صيت له فوق السماك منار

فالحلم فيه سجية مشهورة ... ولذا بدا من عفوه الإكثار

خدمته أيام السعادة والرضا ... فاموره وفق القضا تختار

ما هم بأمر قطّ إلا ناله[1] ... ما للصعوبة في مناه مدار

فيمينه من كفها نبع الهنا ... وشماله للمجرمين قرار

ذو فكرة وقّادة وفراسة[2] ... وجسارة منه الليوث تواروا

يبدي بثاقب فكره ما لم يكن ... في طوق انس لم يشنه عوار

ضبط الأمور وصان سبل نجاحها ... في طوعه كل العباد تجاروا

فازت (طرابلس) به وتزينت ... وتباشرت بقدومه الأسوار

بسط الهنا والأمن في أرجائها ... فغدت تشد لقطرها الأوقار

نادى منادي العز في أكنافها ... فتهللت لندائه الأقطار

ولذا الورى من كل إقليم أتوا ... فكأنّ مكة بالحجيج تزار

وكأن مغناطيس أفئدة الورى ... قطب بمركزها إليه يشار

---

(١) في مدته انقادت الأهالي لتحرير النفوس وأجابت كثيراً من مطالب الحكومة كانت متعاصية فيها .

(٢) كانت قناصل الدول تهابه وهي في ضيق شديد منه لا تكاد تنفع المحتمين بها بشيء وقد استدعاني مرة من محل التوقيف قبل إعطائي الضمانة وبعد كلمة قالها في شأن تجنيد الأهالي قال « الجنة تحت ظلال السيوف» فقلت له: لكن ذلك إذا كان وضعها عن علم وإلا فما الفرق بينها وبين العصي ، أريد بذلك نشر المعارف بطرق سريعة النفع فأطرق قليلاً ثم قال : وهو كذلك وسنفعل إن شاء الله .

يا من أردت سلامة ونزاهة ... ورياضة تزهو بها الأنظار

فاقبل على الزهر اطرابلساً وعش ... في ظل وال نعم ذاك الجار

واشرب هنيئاً واسترح فيها ودع ... مصراً وقل ما الهند ما البلغار

ما الفخر بالأهرام عندي حجة[1] ... فالنيل في سودانهم جرار[2]

ومنارة المرآة مبديها مضى ... والآن ما بعمود تلك فخار[3]

فمدار عمران البلاد وفخرها ... وصلاحها عدل عليه تدار

يا روضة الأزهار والأنوار ما ... في الخصب مثلك والعدالة دار[4]

تيهي دلالاً بل وعجباً في رضا ... محيي المعارف من له الأمصار

سيف العدا نجم الهدى بدر الدنا ... والدين[5] من تاقت له الأنظار

---

(١) لا أقصد بهـــذا التنقيص بشأن مصر لذاتها أو لشعبها « حاشا » فإن فضلهما لا ينكر بل لما نالها من مصيبة الاحتلال .

(٢) أي والسودان على ما هم معروفون به فماذا أغناهم سيل النيل السعيد من بين أيديهم حاملاً خيراته الغزيرة إلى مصر حيث يسعد بها الأجانب وبعض من بنيها المصريين ؟

(٣) أي إذا لم يعزز فخرهـــا بفخر الاستقلال وعز السلامة من ذل الرق والاستعباد (منح الله مصر العزيزة وساكنيها الكرام ذلك عن قريب آمين) .

(٤) في عهده انحسمت مادة الرشوة من أغلب الموظفين وكادت الدوائر تطهر من هذا الداء القتال وتظاهر كثير من المأمورين بالنسك والصلاة .

(٥) لأنه أعظم حام للدين في هذا العصر إذ حافظ على الحرمين الشريفين =

ذاك الذي عمّ الورى أنعامه ... فتنافسوا في مدحه وتماروا

سلطاننا ووليّ نعمتنا الذي ... ذكر اسمه في العالمين شعار

غازي العدا عبد الحميد المرتضى ... من سيفه لذوي الخيانـــة نار

أسد الملوك قلوبهم ملئت بـــه ... رعباً له لبد له أظفـــار

انصر إلهي جنده نصراً عزيـ ... ـزاً لا يشوب زلاله الأكدار

وأدم لواء النصر يصحب جيشه ... عزاً لدين المصطفى المختـار

صلى عليه الله مـا قد سبحت ... خضراء أو ما أورقت أشجار

أو مـا سليمان البروني اعتنى ... بالشعر في سجن لـــه أسوار

وقلت مهنئاً إياه لما عاد من سياحته في عدة جهات من الولاية إلى أن وصل جبال (مسلاته) .

وقد بلغني أن بعضاً قدموا له استرحاماً في حقي ووعد بأن يخابر في ذلك الباب العالي كما حرر بذلك جواباً إلى والدي ذكر له فيه أنه لا يقصّر في كل ما فيه حل مشكلتي بدار السعادة .

قدمت وقد سست[1] البوادي والجبل ... فأوسعتها عدلاً وبلغتها الأمـــل

= وغيرهما من البقاع المحترمة كالبيت المقدس وإن كان في المسلمين ملوك غيره محافظون على ما هم عليه إلا أنهم ليسوا بأصحاب قوة تنفع أمام القوة الأوروبية الجديدة « والقوة لله وحده » .

(١) ساس الرعية يسوسها سياسة اه مختار .

ولما استنارت من ضيـــاء سناكمُ جميع النواحي واستبقن إلى العمل
تجلى هلال السعد من بدركم كما الـ صباح على أرجاء عاصمة الجذل
فحيت ونادت بالسرور وأعلنت تقول لدى تشبيهها العود للمحل
(كذا البدر في ترحاله كل دورة يشرف في إجلاله برجه الحمل)
فدم «حافظاً» واسعد وفاخر برفعة وتضعيف أجر في رضا مفحم الدول
خليفة خير الخلق عبد الحميد من بسطوته زال العنا وانزوى الكسل
أطل عمره يارب وانصر لواءه وصل على المختار مع صحبه الأول

وقلت مستعطفاً إياه لما شدد المراقبة علي ومنع اختلاطي بأصدقائي وأمر بالاطلاع على كل ما يرد إلي وما أرسله من الجوابات وأنا إذ ذاك في محل مخصوص بإدارة البوليس والضابطة .

والي الوالي حاميها وحافظهـــا وحارس الثغر من سوء ومن عطب
(بباب عفوك ذو الزلات قد حضروا
فاصفح وسامح ولا تنهر أخا الطلب)
(فالعدل من راحتي كفيك منبعث
وحلمكم في الورى أفضى إلى العجب)
وصيتكم شاع في الآفـاق يذكركم بفوزكم في سباق العلم والأدب
فجـــد علي بمزن من عدالتكم يزيل ما بفؤادي من ضنا التعب
(وامنن ببعض التفات من عنايتكم واستر بحلمك ما قد كان من غضب)

حقق رجاء الورى في حسن نيتكم فالسجن عدل ولكن معدن النصب

•

وقلت مادحاً دولة رجب باشا المشير الأفخم لما أبداه من الغيرة عني :

ما بالها تلك الظباء نراهـــا حارت فتاة القوم في معناهـا
أرياض زهر أشرقت وتفتحت أكمامهـــا فتشوقت لرباهـا
أم لاح غصن البان إذ هزّ الصبا أعطافه متمايلاً فسباهـا
لا بل بدا منها التفات زانه من جيدها عقد وخطّ لماهـا
فرأت أكف ذوي الكمال مشيرة بأصابع فاستسمعت أذناها
فإذا الهزار على الغصون مغنياً بصفات من فيه الكمال تناهى [1]
ذاك المشير المرتضى عند الورى حاوي المكارم حائز أسماها
شهم له فـــوق الثريا منصب بغي العدا من صيته يتناهى [2]
جمع الفضائل والمحامد واكتسى ثوب المهابة والعلوم حواها [3]
جعل الكياسة والمروءة ديدناً وبذلك الخُلق اللطيف تباهى
ذو همة محمية ببسالة وسياسة عرف القرين عناها

(١) أي انتهى فهو غير يتناهي الآتي .
(٢) أي ينهى بعضه بعضاً كقوله تعالى: ﴿ لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾ .
(٣) له اطلاع ومشاركة في أغلب الفنون وله نوع ميل لرأي دقيق جداً لكنه بعيد في تفسير قوله تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

في خوضه اج الخطوب بعزمه ... عند اشتباك حروبها ووغاها

خرق العوائد لا يطاق نضاله ... من[1] كفه حسم[2] العدا وفناها

فاق الألى من قبله قد عينوا ... لرئاسة سكن الهنا بفناهـــا

زان الولاية حامياً لحدودها ... فجيوشه شبه الليوث تراهـا

مثل السحاب إذا تشبه سيرها ... في ظل رايتها المروّع تاهـــا

لا سيما إن سلّ سيفاً باتراً ... وغـــدا يحفّ برعده طرفاها

فترى لسان الحال منها قائلاً : ... ما البحر ما الأمواج ما مبناها

ما السحب ما الرعد المدمدم ما وما ... ما البرق ما النيران ما معناهـــا

فالرعد من صدماتنا عند الوغى ... والبرق من لمع السيوف نراها

والموج من أنهارنا[3] متكون ... والسحب نقع غبارنا منشاها

عمرت بلاد في جهات طالما ... بدم العدو مشيرنا أحياهـــا

لله در كماله وخصاله ... وأيامه لله ما أهناها

---

(١) (من) أولى من (في) ها هنا لما فيها من المبالغة عند تقدير متعلقهـــا (بمخلوق أو ناشىء) مثلاً وذلك لا يؤخذ من مجرد الظرفية والله أعلم .

(٢) الحسم : القطع ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾.

(٣) صفوفهم الشبيهة بالأنهار في امتدادها وسيلها .

بالله ما أبهى الجنود إذا بدت ... بسلاحها تصطفّ في مأواها

تدعو بأصوات يلذ سماعها ... لمليكنا حصن الورى وحماها

قطب الخلافة ملجأ الإسلام شم ... س الملّة السمحاء بدر سماهـــا

عبد الحميد إمام كل موحـــد ... سكن البسيطة موطئاً لثراها

غزواته مشهورة وجنوده ... عند اللقاء النصر تاج لواهـــا

بالملك قام وللأعادي سطوة ... كلّت أنامل من يحد ذراهـــا

ذو الظفر والنصر العزيز وكيف لا ... وهو الأمين على نفائس[1] طاها

صلى عليه إلـهنا مـــا قد غزا ... جند حميدي ونال ثناهـــا[2]

أو ما تشوّق في تغرّبه فتى ... في السجن أضنى نفسه وأذاها

•

أرسل دولتلو حافظ باشا والي طرابلس وفداً بطلب (من الباب العالي) مؤلفاً من عشر ذوات من أعيان مركز الولاية والمتصرفيات إلى الاستانة العلية للمداولة في أمور تهم الولاية لما طلب مولانا السلطان اجراء تحرير الأملاك وتحرير النفوس ووقع نفور من بعض الأهالي بإغراء الأجانب وبمجرد وصولهم أمر مولانا السلطان

---

(١) أي مخلفات النبي عليه السلام وآثاره كالسيف والسجادة والنعل والشعر المحفوظة في القسطنطينية العظمى داخل قصر مخصوص محفوف بالحرس يزورها جلالة مولانا السلطان في محفل عظيم كل سنة للتبرك بها في يوم معلوم .

(٢) أي ثناء الغزوة المأخوذة من غز المتقدم بانتصاره فيها .

بانزالهم في المسافر خانة العامرة (دار الضيافة السلطانية) ،وبعد عدة أشهر أنعم عليهم بالرتب والنياشين والجوائز وأذن لهم في الطلب فكان في مقدمة مطالبهم بامضاء ذي العز موسى عارف بيك اليفرني طلب العفو عني وفي الحال صدرت الارادة السنية بذلك وبلغت للجرائد وأرسلت تلغرافياً إلى الولاية وبلغت إلي فكان لذلك اليوم عندي وعند أصدقائي شأن نال فيه بعض سعاة التلغرافات من الأعيان احساناً يذكر وفي اليوم الثاني بلغ الخبر أقصى صحراء الجزائر تلغرافياً ونال هناك كثيرون ممن نشروا الخبر إحساناً والحمد لله . ثم بقيت في انتظار الوفد إلى أن رجع فقلت القصيدة الآتية مخصصاً فيها عارف بيك بالذكر لما أبداه من الإقدام على مثل هذا الطلب الخطير في مثل ذلك المقام المرهب الذي تخضع فيه رقاب الكياسرة وتطاطأ فيه رؤوس الأسود والجبابرة، ولقد أعجب كثيراً كل من له علم بحال ذلك المقام بهذه الجرأة وكثيراً ما أتذكر كلاماً في هذا الموضوع قاله دولة المشير رجب باشا ومن ذلك قوله: (إن هذا من الغريب في شأنك إذ لم تسبق إليه فلك كل فخر، ولا شك انها عناية ربانية خصتك بذلك) ثم قال مازحاً: ولعلك من أرباب سر الحرف ونحن لا ندري فاستعطفت السلطان :

الله اكبر ساد الحق وانتصرا ... وأنجز السعد والاقبال ما نذرا

وألسن اليمن قد قالت مهنئة ... بشرى فوفد الهدى قد عاد مفتخرا

وفد على نصرة الدين الحنيفي قد ... لبّى النداء فجاب البحر وابتدرا

وافوا مليكاً يحف النصر رايته ... والعدل راحته والفضل قد نشرا

لينذروا قومهم اذ يرجعوا فيرى ... آناً فآناً بهم بدر الرقيّ سرى

أسرى نهاراً بهم فكان من أمرهم

أن شاهدوا العرش والكرسي والوزرا

من منبع الحق تحت الحجب قد شربوا

فما رأوه يقين لا كلام مرا

آيات كبرى عياناً أبصروا فغدا ... ذاك الفؤاد بذاك القول مؤتمرا

قد ألهموا الرشد بالتوفيق فانتظموا

في سلك من قربوا قرب اجتبا وقرا

على بساط الرضا والأنس صف لهم ... موائد المنّ ضاها نورها القمرا

وخولوا رتباً أضحت (تميزهم) ... وبالمجيدي تحلوا والحديث جرى

تشفعوا[1] والأمين الشهم واسطة ... فخففوا وطأة الحكم الذي صدرا[2]

فنلت عفواً ونال الفخر محتسباً

ذو العز عارف موسى إذ قضى وطرا

ذاك المقام المعلىّ لا مزاح فيا

وفد الصلاح ايقظوا الشعب الذي فترا

عاد البراق بكم يطوي الخضمّ ومن ... يرمي القسيّ سواكم بعد يا أمرا

وإذ قفلتم وحلّ البدر منزله ... والشمس مشرقة هل للنجوم سرى

---

(١) طلبوا لي العفو بواسطة الكاتب السلطاني المبلغ لمطالبهم .

(٢) هو الحكم بالإبعاد خمس سنين قضيت منها ستة أشهر داخل القلعة وستة في المركز (إدارة البوليس) وسنة تحت المراقبة بضمانة معتبرة ثم صدر العفو الشاهاني المذكور .

كلا ومن أضمر التشبيه قيـــل له
(الصيف ضيعت) فاصمت واستقم حذرا

بشرى سعدنا وسدنا والزمان صفا درب التمدن في أقطارنا عبرا
بهمة العدل والينا ومرشدنا (محمد حافظ باشا) الذي شهرا
وهمة الشهم ذاك المجتبي (رجب
باشا) المشير الذي في نصحنا سهرا

عناية الله حفتنا فوفقنـــا لمرتضى من على نهج الفلاح جرى
ظل الإله نصير الدين حافظه أميرنا معشر الإسلام مذ ظهرا
حامي الخلافة قطب العرش ضيغمه
مزن غدا صوبه بالأمن منهمـــرا

(عبدالحميد) الذي سارت بحكمته نجائب الحمد وانقادت له السفرا
فدم لك الظفر سيف الله مبتهجاً يحمي علاك الهدى ما جندنا نصرا

●

قلت مهنئاً الجناب الأفخم عزت باشا متصرف لواء الجبل الغربي المذكور في الاحتفال السابق :

هنيئاً « عزت » المختار فاسعد لك الأقدار جادت بالوصال
بك ازدادت جبال الغرب فخراً ومادت تبتغي نيل المعـــالي
وهنأ بعضها بعضاً وأضحت لهـــا البشرى مقدمة الكمال

فسسْ بالعدل أمتهـــا وشمّر وسدد والتمس أسمى الخصال
وريّضها وهذبها وجامل فاهلوها لهم همم عوال
لهم في الملة السمحا رسوخ وفي الآداب أقمار الليـــالي
وفي حب الخليفة قد تفانوا فقل (عبد الحميد) ولا نبالي
فكل إرادة صدرت نراهـــا كفرض ينقضي بالامتثال
لذا كل الورى بالطوع نادوا فقم وأمر بنفس أو بمـــال
ودع ما نمّه الواشي فإنا ورب البيت أصفى من زلال
لنا حب وإخلاص ونصح ومحض الإنقياد بكـــل حال
لمولى الظفر سيف الله عبد الـ حميد المرتضى سامي الفعال
وإن عيونه ترعاك إما [1] وإما فاركبن متن الكـــمال
وسر فوق الارادة مستعيناً [2] وسل مولاك مائدة الحلال
ودُمْ يحمي ارتقاءك للمعالي رضاء منير منطقة الكـــمال

●

دعانا صاحب الرفعة أمين بيك قائمقام قضاء (لالوت) إلى حضور ختان أنجاله فتوجهنا في جماعة من أعيان فساطو المحترمين وكانت المسافة يومين على الخيل مررنا فيها على قرى متعددة فقلت مهنئاً إياه يوم الختان :

---

(١) أي إما أن تعدل فتنال الحمد وترقى وإما أن تجور فينعكس الأمر .
(٢) تحريض على العفة ومجانبة الرشوة .

سعد (الأمين) وأزهرت أفراحه

وغدت به (لالوت) روضة بان

فبدا الهزار على حدائق أنسها ... مترنماً بغرائب الألحان

يبدي المسرة والتهاني مطرباً ... بعجيب عذب غنائه الأذنان

وعلى موائد أنس شهم قد سما ... دارت كؤوس في رياض ختان

نعم الختان ونعم أفراح غدا ... فيها (حسين) منبع الإحسان

و (حميد) قرة عين إنسان العلا ... صنو الحسين مظنة العرفان

فليهن دائرة الأمين سرورهم ... وليحمدوا المولى بكل لسان

وليقبلوا البشرى بكل بشاشة ... من نخبة عدوا بألف عنان

إذ جاملوهم في المسرة وامتطوا ... خيلاً عتاقاً من (قضاء) ثاني [1]

جازى الإله جميعهم خير الجزا ... وأدام أنس الكل كل زمان

أحمدُ قل للسعادة مرحباً ... وابشر برفعة رتبة ونشان

ما شاء [2] كان وللهبات وسائل ... وتجليات في أخص مكان

أنت المرابط في الحدود فقل نعم ... إن الرباط وظيفة الشجعان

---

(١) القضاء في اصطلاح حكومتنا الآن عبارة عن قسم من أقسام المتصرفية يحكم دائرته حاكم يعرف بالقائمقام والمديرية أصغر من القائمقامية .

(٢) أي الله سبحانه وتعالى .

فاز المرابط وهو أفضل ماحق [1] ... هام العدا بمهندٍ وسنان

أنت الأمين بك الحدود تأمنت ... وغدا العدو يذوق كأس هوان

في ظل سلطان الأنام وعدله ... طود العلا عبد الحميد الثاني

خذها تزف عروسة مقرونة ... بهدية من سادة الأوطان

•

قلت لما جددنا الجامع الكبير بمركز فساطو ونقشت في رخامة بجانب المحراب وهي ثاني ما نظمته :

وجب الثناء على جماعة (جادو) ... إذ شيدوا بيت الإله وجادوا

قد وسعوه وجدّدو من أصله ... وتسارعوا لبنائه وانقادوا

لله در عصابة قد سببوا ... ببنائه وتعاضدوا وارتادوا

بالله ما أهنا الوفاق إذا بدا ... بين الأنام وحفه الإسعاد

يا مسجداً زان البلاد بحسنه ... وتباشرت بمشيده العباد

لا زلت منبع كل خير عامراً ... يأوي إليك الراكع السجاد

وحمائم الأذكار تهتف دائماً ... برياض حسنك والهنا يزداد

ياليت شعري لو رزقت بعالم ... يشفي الغليل وشأنه الإرشاد

---

(١) قيل إن المرابط (وهو المحافظ على الحدود الموالية للعدو) أفضل من المجاهد بالفعل و(لالوت) هي في الطرف الغربي من جبل نفوسة المنتهي في (وازن) آخر قرية على الحدود الطرابلسية التابعة للالوت .

يحيي الدروس وما تصوح نبته ... ويزيل ما هاجت به الأنكاد

واغفر لناظم عقد ذا أوزاره ... يا ربنا وأنله ما يعتاد

أعني سليمان البروني نجل من ... أضحى جميل الذكر وهو مراد

متوسلاً بمحمد وبآله ... وبصحبه وبمن بهم قد سادوا

صلى عليه الله ما هب الصبا ... وعليهمُ ما حنت الأكباد

أو قال منشد هذه مترنماً ... (وجب الثناء على جماعة جادو)

•

خطبت في المدرسة التحضيرية بمناسبة الجلوس العباسي سنة ١٣٢٤ فقلت :

تفتح روض الأنس وابتسم الثغر ... وهل هلال السعد وانتشر البشر

وحيت قلاع البر والبحر وارتقى ... لأوج العلا يختال في عزه القطر

وقال لسان الحال للقوم جددوا ... شعار التهاني قد بدا لكم الفخر

وقام خطيب الصدق في محفل الرضا
يردد يا بشراي قد أشرق البدر

(عزيز) ديار العز من (نيلها) غدا ... لتهنئة (العباس) يشبهه السطر

تشرف عرش الملك إذ حل من به ... تهللت الأيام وابتهج الدهر

فقال الورى أهلاً وسهلاً وأقبلت ... تجرر داء التيه معجبة مصر

هنيئاً لنا بشرى (خديوينا) غدا ... بمركزه الأسمى وغرته الفجر

علا عرش آباء ملوك ضراغم ... بيوم سعيد كان طالعه الظفر

فدم أنت «عباس الأمير» بلا مرا ... تدبر ملكاً زانه العز والنصر

تجدد عيداً بعد عيد مؤيداً ... لك الحجة البيضا لك النهي والأمر

تنفّذ أمراً رمته كيفما تشا [1] ... تهز عصا موسى [2] إذا دهم السحر [3]

لك القطر ملك والقلوب أسيرة ... فمن يدعي سهما فقل حظه الصخر

سوى الأسد الضرغام عبد الحميد من
إذا اشتدَّ لان الصلد واضطرب البحر

فما دمت (حلمي) واثقاً بلوائه ... فانت لمصر التاج والسيف والبدر

فقي الشرق يا مصر (العزيز) وفاخري
به الغرب فالعباس من بينهم وتر

•

وقلت في ضمن مقالة في الجلوس الشاهاني وأنا في القلعة السلطانية ونشرت في جريدة المعلومات بالآستانة العلية :

« طاب الحديث بذكر المطربات فذا
يوم التهاني ويوم العفو والكرم » [4]

---

(١) أي لا كما يشاء عميد الاحتلال الانكليزي .

(٢) كناية عن الفرمان السلطاني .

(٣) ما تحاوله انكلترا من رفع الحماية وغير ذلك .

(٤) من العادة صدور العفو فيه عن كل من مضى ثلثا مدة حكمه من غير السياسيين .

يوم تكامل فيه السعد وانتشرت ... فيـــه المسرة بالأفواه والقمم
يوم به أصبح الإسلام مبتهجاً ... والدين مرتفعاً والكفر في ضرم
يوم به خصنا المولى وفضلنـا ... منّاً وفضلاً وبالبيتين والحرم
يوم السرور على طول الزمان لنا ... من بعد مولد خير العرب والعجم
يوم استواء أمير المؤمنين على ... عرش الخلافة مرفوعاً على الأمم
يوم تنورت الأقطار وانتظمت ... فيه العساكر نظماً غير منثلم
مصطفة لدعاء النصر لاهجـة ... بذكر عبد الحميد الطيب الشيم
سلطاننا معشر الاسلام قاطبـة ... شرقاً وغربا بلا ريب ولا جرم
تاج الملوك جمال الدهر غُرتـه ... وبدر هالة دين المصطفى العلم
حاز المفاخر أعلاها وأكملهـا ... فوصفه ببيـــان معجز القلم
دع معجزات رسول الله خالصة ... وصف بكل كمال كوكب الظلم
حدِّث عن البحر ما في ذاك من حرج
ولن توفي حق الأمن والسلم

•

وقلت ترغيباً في إقامة الاحتفالات بالجلوس السلطاني إذ رأيت بعض الجهات بمصر لا حركة فيها ، وتنبيهاً إلى تقديم التبريك لجلالة السلطان تلغرافياً :

أمصرُ طربت لكن ليس هذا ... بكافينا لدى العيـــد الجديد
أشاهـد في فناك رحاب قوم ... كأن لم تدر مـــا عبد الحميد

بأمس للخليج رأيت يومـــاً ... علا قـدراً على اليوم السعيد
ألا ما كنت أحسب مصر إلا ... كروح حلَّ في جسم وحيـــد
هلموا يا رجـال القطر نسعى ... جميعـــاً نحو دائرة البريد
ونعرب عن صداقتنا ونبدي ... لمولانا المعظَّم رسم عيـــد
فهذا يوم إظهـــار الخبـايا ... وتمييز الصديق من النديـد
على أني أقرر عن يقين ... بأن القطر هيكله حميدي
يهوديٌ كقبطـــي يواسي ... أخا الاسلام ذا النسب المجيد
وحدث ماتشأ في العكس وادحض
مقـــالاً قيل أبرد من جليـــد
وهل في الخافقين أمصر « كلا » ... محافظنـــا سوى عبد الحميد

•

وقلت في ليلة خطاباً لناظر المدرسة التحضيرية السيد أفندي رئيس جمعية الشبيبة المصرية :

يا رئيس الخطابة ازددت قدراً ... وبك ازدادت المنـابر بشرى
ارشدن زهرة الشبيبة وارسم ... فوق ذا المنبر المشيد طغرا
ارفعن راية الهلال افتخـــاراً ... كي ترى في القلوب أعظم قدرا
وتنبه أخا المحامـــد واحرص ... فزمان النجاح أثبت ذكرا
اغتنم فرصة التقـــدم حتى ... تدع النشأة الحديثـــة بدرا

اخدم العلم خدمة النصح وارغب ... أن يرى القطر منك مجداً وفخرا
أنت إن لم تحد عن الجد يوماً ... غرة العصر بالمكارم أحرى
فهنيئاً بك المحـــافل ضاءت ... وبك استقبل التلاميذ خيرا

•

وقلت لأخطب بها يوم الاحتفال بمدرسة مصطفى باشا كامل ثم حال دون ذلك ما تقرر من قصر الخطابة على حضرة حافظ أفندي الشاعر الكبير بمصر :

طابت[1] صفاتك مصطفى فتهللت ... بك مصر وازدانت بحزب حافل
أحييت مراشدك الشبيبة فارتقت ... لمدارج الشرف الرفيع الطائل
قد قمت بالأمر الخطير[2] فأرعدوا ... فزعاً ونلت مذمة من جاهـل
جهلوا المقاصد أو أتوا بتجاهل ... فتقوّلوا وتأججوا بالباطـــل
دم رافعاً ذاك « اللواء » مشيداً ... صرح المعارف بالثبات الكامل
أنت المراقب لاقتحامك لجّهـا ... وبك افتخار المستنير الفاضل
ولتهنَ مدرسة الكمال بحزبهـا ... ورئيسها الشهم الغيور الباسل
وليفتخر ذا العصر وليسعد فذا ... « عبد الحميد » على الجواد الرافل

---

(١) أول مـــا خطر لي في هذا الموضوع قولي « كملت » بدل « طابت » فتشاءمت منها وأبدلتها وقلت لعل عمره قد كمل فإن ألسنة الخلق أقلام الباري على ما يقال فلم تمض أشهر قليلة حتى رزئت فيه مصر والوطنية (والبقاء لله) .

(٢) هو طلب جلاء انكلترا من مصر .

بالجد ساع حامياً بل جاذبـــاً ... روح العوالم بالدهـــاء الفاعل
فهو المجاهـد لا مراء وأمره ... حتماً يطاع برغم أنف المائل
وليبتهج بسموّ « عباس » فقد ... أرضى النفوس بذا الحنان الوابل
لاذت بطلعته الشبيبة فانثنت ... للغرب ترمق كالخبير العاقل
يا نخبة العصر الجديد وحزبه ... ورجاله وحمـاته في القابـل
ما الغرب مثل الشرق في إقدامه ... فيما مضى من فارس أو راجل
فالشرق إن رفض السبات تراكضت ... فرسانه وأتت بفخر هائـــل
حان التيقظ والطبيعة ساعدت ... والعود أحمد للنجاح العـاجل
هذا هناء العيش هـذا صفوه ... هذا صراط الفوز هل من عامل
فالعلم نور والجهـــالة ظلمة ... والجد حزم لا جمود الخامل
والبخل عار والسكينة ذلة ... والاحتلال زعاف سم قاتـل
من جدّ نال وللمغـانم فرصة ... والعمر يعبر كالزلال السائل
« هذي » نصائح مخلص مستبشر ... برقيّ قطركم بـه من كامل

•

وقلت في الشاعر المجيد مصطفى أفندي لطفي المنفلوطي لمـــا بعثت إليه ديوان الحضرمي ليقرظه فقرظه نثراً « واعتذر » :

بلطف شعرك « مصطفى لطفي » غدا ... نظم (ابن قيس) حائزاً أعلى الرتب

فلأنت أعظم ناثر ومقرظ في عصرنا عصر السياسة والأدب

حسب « ابن قيس » شاهداً تقريظكم

فليبتهج وله الفخـــار ولا عجب

ولك الشهـادة من بروني أتى من مغرب فاقبل بفضل ما كتب

●

أمرني أستاذي الإمام لما ختمت قراءة شرح الكافي في العروض أن أقول شيئاً على سبيل الارتجال فقلت بعد تدبر قليل :

« ختم » الرسالة ربنـا بمحمد فهدى الأنام إلى الطريق الأرشد

وغدت ديانة عابـد الأصنام في « بتر » و« قطع » ما لها من منجد

وحمى حمى دين الهدى بسيوفه فغدا محجة ذي الفؤاد المهتد

وأتى رجال شيدوا آثاره خلف على سلف روى للمسند

فمضوا وأحياها إمام قـد سما ورقى إلى أوج المقام الأسعد

جمع العلوم فخاض لجة بحرها فتراه في تاليفـه [1] كالمنشد

ذاك الهمـام الأريحيّ محمد من نسل يوسف بدر ليل مفرد

لغوامض الكافي أبان فكان لي بختامه طرب و « صفق باليد » [2]

---

(١) لأنه لا يحتاج إلى مراجعة الكتب في غالب الأحوال خصوصاً فيما يعود إلى علوم المعقول فتراه في حال التأليف كأنه يحرر جواباً أو كلاماً محفوظاً وما لديه من مؤلفاته في كل فن أعظم دليل على ذلك .

(٢) هاتان الكلمتان مما تفضل بوضعهما تتميماً للبيت حضرة والدي حفظه الله إذ عجزت ساعة نظم الأبيات عن إتمامه جازاه الله عني بالجنة آمين .

أوعز إلي الأستاذ الأكبر قطب الأئمة شيخي الحاج محمد بن يوسف اطفيش أنه سيرافقني إلى (محطـــة غارداية) ليلة رجوعي من ميزاب إلى الجزائر سنة ١٣٢٦ هـ ، فعظم علي الأمر نظراً لمقامه العالي فرأيت أن أقابـل ذلك ببعض أبيات في حقه أقدمها له عند حضوره ، ثم لما حل السفر وكان البرد شديداً والليلة غير مقمرة والمحطة بعيدة ذهبت إليه مع جماعة من الوجهـــاء وسألناه أن لا يكلف نفسه الخروج من محله ، وبعد أخذ ورد قبلنا منه الوصول إلى باب المدينة « فكان ذلك » وقد هيأت ثلاث قصائد ولما قدمتها إليه وطلبت تلاوتهن على الحاضرين استصعب الفراق ورق قلبه فقـــال لا يكون هـذا بحضوري فودعناه وجئنا إلى المحطة وكان بها في انتظارنا الأعيان من كل قصر أكثرهم من « مليكة » وفي مقدمتهم جناب قاضي محكمتهم وقائدهم الفاضلان وكبيرهم الجليل ومن « غارداية » وفي مقدمتهم جناب قاضي محكمتهم وعدوله الكرام وأجلاء طلبـــة العلم ومن (بني يسقن) وفي مقدمتهم خواص تلامذة الأستاذ والأصدقاء الكاملون ، أما أهل (العطف) الأماجد فقد أرسلنا إليهم بتأخرنا عن السفر تلك الليلة ثم عزمنا فلم يحضروا « ونية المؤمن خير من عمله » وهنالك تلونا القصائد في ازدحام كبير « جازاهم الله بكل خير » .

القصيدة الأولى

سلام يا إمام المسلمينـــا ويا نور الهدى للمؤمنينـــا

وداعـاً لا وداع النأي لكن لشوق في الفؤاد غدا كمينـــا

أفارق وجهك الأسنى وروحي تحنّ إذا ذكرتكمُ حنينـــا

فعش حتى أعود ودم سعيداً مع الأحياء محفوظاً سنينـــا

بقاؤك للهدى عمراً طويـــلاً نجاة بـــل حياة العالمينـــا

تصاحبك السلامة قـل وإني أقول إذا دعوت بها أمينـــا

فإن دعـــاء مثلك مستجاب وأنت اليوم قطب المتقينـــا
فمن نال التفاتاً منك أضحى بفضل الله ذا حبل متينـــا

•

القصيدة الثانية

(وكان معها نثر)

هذا ابن يوسف حجة الاسلام كنز العلوم وروضـــة الأكام
هذا ابن يوسف شيخنا وإمامنا ودليلنـا في الدين والأحكام
هذا ابن يوسف واحد في عصره أعظم بـــه من مرشد ومحام
هذا ابن يوسف ذلك الطود الذي في وصفه قـــل عالم الأعلام
هذا ابن يوسف من بنور علومه قال ادخلوا باب الهدى بسلام
هذا ابن يوسف وابن يوسف إن تشأ تعريفـــه قل مركز الإسلام
هذا ابن يوسف قطب دائرة الهدى هـــذا ابن يوسف قدوتي وإمامي
هذا ابن يوسف من له صيت علا هامات ملك العرب والأعجام
هذا ابن يوسف ذو التصانيف التي قد أعجزت ذا منطق وحسام
هذا ابن يوسف فخر كل محقق وحسام كل معانـــد متعام

•

القصيدة الثالثة

للغرب أنت وللمشارق مرجع منك المعانـد والمعـادي يرهب
أنت النذير لوقتنـا ولعصرنا علم الهداية للمعـــالي تندب
أنت الإمام بك العوالم تقتدي أنت الوحيد الشهم أنت الأهيب
قطب الأئمة أنت أنت بلا مرا بحر الهدى منك اللآلي تطلب
أنت الذي أنسيتنا عـلم الألى سبقوا وحكمة من مضوا يا كوكب
أنت الملاذ لك المزار تقرّب منك الدعا بنجاحنا مستعذب
شهد الأنام بأن مثلك نادر في العالمين وليس مثلك يعقب
إلا إذا جاد الزمان بكونه فرعاً لأصلك فالجواز الأقرب
بالجد نلت وبالتواضع والتقى علمـاً حقيقياً فصح المذهب
أحييت مندرس المعارف فانثنى يختال في أوج السعادة مصعب[1]
أعطاك ربك (والصلاة على النبي) ما يبهر الألباب ممـــا تكتب
أزريت بالرازي وبالكشاف مع روح البيان ولو رأوا لاستعجبوا
حللت معضلة « المعالم »[2] فانجلى للسعد أنك فاتح ما استصعبوا
ما للمبرد والخليـــل وأفلح غير اتباعك في الذي قد أشربوا

---

(١) من أسماء وادي بني ميزاب بناء على أن جدهم اسمه مصعب .
(٢) كتاب في علم الكلام والفلسفة صعب جداً على نسق المواقف والمقاصد.

فوفاؤك[1] الروض الأنيق محجة — «هميانك» المكنون شهد أعذب

«اكليلك» المسبوك تاج النيل بل — شرح الدعائم في الإجادة أغرب

قلدت جيد العلم عقداً فاخراً — فعلا بك الدين الرضي الأصوب

بالعلم نلت لدى الملوك مكانة — علياء يقصر عن ذراها المعرب

هذي «فرنسا» دولة الافرنج قد — جلتك فاعترفت بأنك المطلب[2]

«والزنجبار» من الجنوب مليكها — أولاك فخراً نعم هذا المنصب

عش يابن يوسف ما المجرة في السما — روحاً لدين الله بدراً ترقب

هـذا البروني أمَّ بابك زائراً — منك الدعاء مع الرضا يستوهب

غضب الأمير بدون داع ضره — فإذا غضبت فأين أين المهرب[3]

•

(١) «وفاء الضمانة بأداء الأمانة»: كتاب في الحديث الشريف، «همیان الزاد إلى دار المعاد»: كتاب كبير جداً في تفسير القرآن العظيم. «شرح النيل وشرح الدعائم»: كبيران جداً أيضاً جامعان للفقه وكلها من مؤلفات هـذا الأستاذ أثابه الله.

(٢) كناية عن الكنز. وقد شهد علماء فرنسا أنه عالم هـذا العصر للغرب وقلدته نيشاناً كما قلدته الدولة الزنجبارية نشانين وهو أهـل لأكثر من ذلك. «وإنك» بإسكان النون.

(٣) استغفر الله «لا ملجأ من الله إلا إليه» فهو الذي بيده الضر والنفع.

قلت قصيدة سنة ١٣٢٥ جواباً لحضرة الشيخ حمدان العلامة المدرس بالجامع الكبير بقسنطينة من عمل الجزائر عن بيتين خاطبني بهما ارتجالاً وهو يقرأ مقالة الجامعة الاسلامية في الأسد ونصهما :

اذا (الأسد الاسلامي) لله دركم — بجامعة الاسلام فاسط بتبيان

وفاخر بعقل في المصالح وادخر — أجوراً بها في الحشر تابى لحسبان

وهذه هي القصيدة :

قريظ همام طافح اليم « حمدان » — سمي ابن قيس بالسلامة هنـاني

فقلت ارتجـالاً ناشراً لكماله — هو البحر علماً ما لمنصبه ثاني

له الأدب الغضّ النضار خطابه — له الخلق السامي فأعجب بحسان

وكيف وعبد القادر الطود شيخه — فأكرم بتلميـــذ لمنبع عرفان

« أحمدان » حققت العلوم فأعنقت — بذكر آي الحمد للإنس والجاني

سبقت فنلت الفضل فابق مكرماً — وقل معلناً : إن البروني حياني

و(للأسد الإسلامي) الحظ أن على — صحائفه قوى بمدحك برهاني

تقبل رعاك الله من فكر مخلص — لك الحب نظماً واسترن عيبه الداني

فأنت أخ والناس في الدين إخوة
وهل مذهب الإنصاف هجري لإخواني

بلى ثم كلا فالوفـــاق محتم — وصف كل من يبدى شقاقاً بحرمان

علمنا من الأيام سوء انقسامنا فبالاتحاد الفوز ياعين إنساني
أسافر كيما ألتقي بأجلة لهم من سمي الفكر حظ (كحمدان)

•

قلت القصيدة الآتية وهي فيما أظن أول ما نظمته من القصائد مهنئاً بها السيد الحاج سليمان المجدلي النفوسي التاجر بقسنطينة لما ختن نجله وكنت إذ ذاك في تونس (من أول سنة ١٣٠٥) فطلبني للحضور وكانت المسافة مسير يوم تقريباً في السكة الحديدية ولي دروس في الجامع الأعظم لا يمكنني التخلف عنها فلم أجب دعوته واعتذرت له :

عبث[1] السرور بمهجتي ولساني عبث[2] الصبا بالزهر والأغصان
وحلا الحديث فقلت لما أن بدا بدر لخدمته سرى النيران
إن السلامة والسرور تعانقا بختان (عمرو) نجل ذي الإحسان
أعني سليمان بن مسعود الذي قاد الزمان لما عنى بعنان
فلك الهناء «أبا الربيع به» ودم والسعد يحرسكم بكل مكان
والله يحفظه بعين رعاية ويقيه شر عوارض الأزمان
حتى تراه مهذباً قد حلّ في أوج العلا متمكن الأركان
فيسرّكم وتقرّ عينكمُ به وينال كل الفخر في الميدان
«هذا» وقد طلب الحضور جنابكم جوزيتمُ بالخير والإحسان
لكن لعذر فاصفحوا إذ لم أكن ممن بمحفلكم يعد مكاني

(١) فعل ماض . (٢) مصدر .

فاقبل وقل يابن البروني عذركم لوضوحه أغنى عن التبيان
وقصيدتي عني ينوب حضورها والله يعلم خافيات جناني
دمتم بعز رافلين ونعمة درجاتكم يصبو لها التوأمان
بمحمد صلى عليه وآله رب الخلائق ما جرى الملوان

•

وقلت في ضمن مقالة خطاباً لدولتلو رجب باشا والي طرابلس :

رجب علوت وقد رأى منك العدا طود الشهامة والسياسة والندى
ماضي الحسام لدى الكفاح غضنفر تسقيهمُ عند اللقا كأس الردى
ذد عن حياضك وابشرنّ فقد دنا (إن صح) نيلك كل فخر واهتدا
«قال العدو» خطبتها أعطيتها وسأهتكنّ حجابها عند الفدا
وأقول (كلا) فالحمى يحميه من نال المكانة في الورى والسؤددا
عبد الحميد خليفة الاسلام من بالله معتصم له مد اليدا
دون الحجاب مهند وجحافل لم تجتمع عبثاً ولم تنصب سدى
يا جاهلاً بالأمر قادك للمنـ ـون عمى الجهالة واحتيالك للغدا
إلزم مكانك فالضفادع عندكم[1] موجودة والقرد يعتاد الدّدا[2]

(١) لأنهم يأكلونها . (٢) اللعب .

(إن لا) فإن سال الخضمّ تدفقت في رومةٍ أمواجه ذات الصدى
إحذر وحاذر فالقلوب تيقظت و (محمد) من دينه سمع الندا
خذ من لسان الحال أقوى حجة واصمت وإلا فالسلام تهددا

•

وقلت واصفاً طرابلس وأهلها في مقابلة مقالة حررها بعض من أعماهم الطمع فيها :

لها في الجبال الشامخات معاقل أسود الوغى تقري السباع الجماجما
إذا ذكرت « عبد الحميد » تلألأت سيوف لها تفري العدو المهاجما
نفوس ترى حمل السلاح فريضة ترى الرمي حتماً قبل أن يتفاقما
لها همم عليا ترى الذل خِسّة ترى الذود عن أوطانها متحتما
(ومن لم يذد عن حوضه بسيوفه[1] يهدَّم) مقال صاغه من تقدما
لها بشطوط البحر كل غضنفر له بسلاح العصر علم تحكما
بها من صناديد الحروب جحافل تسيل إذا ما قيل شدوا المحازما
صيام قيام لا يرون فضيلة سوى خوضهم لله في لجج الدما
لهم بلوا « عبد الحميد » تعلق يرون الهدى في طوعه ومغانما
بلى ولهم في كل قطر مساعد إذا التهبت نار العدو ودمدما
فويل لمن قد ساقه النحس نحوهم هم الحتف إن هزوا اللوا والعمائما

•

(١) هذا شطر بيت تمامه هكذا « يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم » وهو مشهور .

قلت القصيدة الآتية في ضمن مقالة مقابلة لمقالة لمحرر تكلم أيضاً في شأن طرابلس وحرض دولته (ايطاليا) على احتلالها ولامها على التراخي :

نصول إذا حان الدفاع ولا نرى جزاء من المولى سوى جنة الخلد
نحب اللقا لا نبغض الطعن إن يكن نضالاً عن الأوطان والدين والمجد
هنيئاً لمن أمسى صريعاً مجاهداً له حلة من أرجوان على الجرد
فيا مغرماً بنا تقدم لفتية ترى الموت فوزاً في مصادمة الضد
خفاف ثقال في الجلاد جوادهم مكرٌّ مفرٌّ مصدر القرب والبعد
أيا بطلاً رام النزال بضعفه ألم تشف غلّاً نكبة الحبش الجعد
أراك زماناً طالما حمت حولهم ولم يك إلا أن صرعت على الخد
ألم تدع الأسرى هناك تسوقها
عصا الذل من ذاك النجاشي في الصفد
ألم تك ممن أدرك الناس أنه أخف انهزاماً من رباط إلى السند
ألم يكفك النصر المقهقر خِسّة فلا حول ما هذا التملق كالقرد
فدعك « بنابلي » لعل جبالها تخر[1] فتفنى أو تقيك من البرد

(١) إشارة إلى البركانات التي طالما أمطرت مقذوفاتها النارية على جهات إيطاليا ودمرت المدن فأصبحت (والقوة لله) رماداً . وليس المراد التشفي المنهي عنه شرعاً المنافي لما أمرنا به من الشفقة والرأفة على خلق الله خصوصاً بني آدم بدون فرق، بل المراد حكاية الواقع ونصح الكاتب ليذهب إليها فينال نصيبه إن قدر له (فتستريح منه طرابلس) .

فان بهـــا أفواه بيت تفتحت لتمنح دفئاً عاري الجوف والجلد

وأما « سليمي »[1] لا سبيل لوصلها

ولو تجعل الجوزاء منطقة الغمـد

باذن الذي بالأمس عزز نصـــرنا

فكانت[2] (سراقوزا) لنا موقع الجند

وكانت وكانت في (قطانيا) وقعة

فسادت (بمسينا) الرجال على المرد

ألم تعلم أن المسلمين إذا سطوا

فواحدهم كالعشر في الجزر والمـــد

قديمـــاً حديثاً لا افتراء وإن تشأ

فسل من (أثيني[3]) قريب من العهد

فكفّ ودع هذا التظـاهر وارتدع

فما لك أبطـــال تسرّك أو تفدي

---

(١) أي طرابلس .

(٢) هذه وما بعدها مدن مشهورة لايطاليا كانت في حكم الاسلام .

(٣) نسبة إلى (اثينا) قاعدة ملك اليونان والإشارة إلى الحرب العثمانية اليونانية الواقعة أخيراً وما حصل فيها من الانتصار الباهر للعساكر الشاهانية وقائدها البطل الشهير (أدهم باشا) .

دع الطمع المذموم لا تغترر بما تراه كاحلام على فرش المهد

محال محـــال أن تدنس روضة عليها لواء حف بالنصر والحمد

خذ النصح أو فاحضر (لكل مدرع[1]

له لبد) حوراء بارزة النهـــد[2]

محبرة رجراجة الكفل غضـة نحيلة خضر ذات خال على الخد

يزيح سنا الاسلام ظلمة شركها فيصبح منها الفرع[3] أسود كالند

وحيًّا الإله الدين ما الترك زلزلت

حصوناً وأهدت خيزرانية القـــدّ

وما دول الإسلام سادت ومهدت

من الدين ما يلقى ألذّ من الشهد

وما (تونس) أنّت وهمّت (جزائر)

وعضت (بفاس) أنملاً ربتُ المجد

ومـــا (زنجبار) بالتاوّه أعلنت

وما (الهند) أضحت تلطم الخد بالخد

---

(١) أي من أبطـــال المسلمين وبالأخص الطرابلسيين الذين يمني نفسه بامتلاكهم .

(٢) أي ليأخذها أسيرة .

(٣) أي شعرها لأنها إذا زالت عنها ظلمة الشرك تلألأ وجهها نوراً فظهر سواد الشعر جلياً فتأمل .

وما (مسقط) بالعدل ما دامت فأصبحت
مظنة أطماع الممازح بالجد

وما اضطرب (القوقاز) ما حنّ (هرسك)
وما اشتد غيظاً (بوسنيّ) ولم يجد

وما (قبرص) أبكت (كريداً) ومارثت
معاهد (برنو) مصرع الأمن والسعد

وما ناح في السودان والصين نائح
على ملة أضحت ضحية ذي حقد

وما أملت (مصر) نجاة ولم تفز[1]
بفاتح عقـــد الاحتلال الممدد

ومـا قـــال آهٍ ثم آهٍ توجعاً
حريص على أن يلمع البرق في الرعد

فيا ليتها (عبدالحميد) يقولها فتصبح والأبطال تزأر كالأسد
ونمسي والنصر المبين يحفنـــا فنجمع شملاً شتتته يد الوغـد

---

(١) هذه البلاد كلها ممالك ومدن إسلامية عظيمة استولى عليها الإفرنج «النصارى» إلا «مسقطاً وفاساً» حماهما الله، وأغلبها كانت في حكم الدولة العثمانية سلختها الدول الأوروبية باتفاقها لتجني ثمرتها وتستعبد سكانهـــا المتنابذين المتباغضين «والأمر لله».

ونغدو والعرش الحميدي زاهر نعزز ديناً ذل في عصرنا النكد

•

قلت ما سيأتي مرغباً جناب صاحب المملكة التونسية الأمير الجليـــل «محمد باي الناصر» في زيارة القسطنطينية العظمى وواصفاً الجيش العثماني المظفر وأسطوله الجديد، وقد أتيت على أغلبها في خطبة ألقيتها في جمعية الشبيبة بمصر لمناسبة:

(الناصر) المحمود أنـ ت بل الأمير المنتصر
أنت المحيّا بالإما رة في العشية والسحر
أنت الذي باهت بك الـ خضراء أقطار الحضر
أنت الذي إن قلت كـ ـان الفعل في لمح البصر
أنت الذي تعطي الامـ ـان لمن تولاه الضرر
في ظل رايتك الرفيـ عة يجتني غرس الدرر
حرك ركابك للسيا حة واغتنم نيل الوطر
حتى تظللك راية حمرا بها يزهو النظر
(دار السعادة) أمها كل الملوك ومن قدر
لو زرت نلت من المليـ ـك عناية تحيي الأثر
زرت (المغارب) فاستنـ ـارت «والمشارق» في نظر
فانعم بزورتها فما راء كمن يصغي الخبر
«الهند» يرقب (والعرا ق) له اشتياق معتبر

« والشام » لو سئلت لقا لت منيتي ذاك الأغر
« اسكندرية » لم تزل وحنينها بادي الأثر
« والبوسفور » له إلى زواره عطفٌ شهر
لو قيل بدر « محمد هذا » لماد وما صبر
وأضاء برق رعوده لج البحار وكل بر
وتلألأت أنواره حتى لما بعد السحر

•

وصف الاستانة العلية :

(دار) الخلافة يا لها دار بها يمحى الكدر
(دار) تمثل قوة تسمو المجرة والقمر
(دار) تدبر في دوا ئرها مهمات البشر
(دار) بها سيف اذا ما سلّ (يوماً ما) نصر
(دار) بها السفراء ما لم يستقيموا في خطر
(دار) الخلافة جنة تجلوا مناظرها البصر
(دار) اذا ما أمها مستضعف القوى قدر
(دار) إذا اشتدت أعا دينا غضنفرها زخر
(دار) بها الاكسير لا يبقي بقاصدها ضرر
الدين فيها ظاهر فهي الملاذ لمن هجر

في وصف الجيش :

في جيشها الجرار من لو هاجم السد انكسر
يسطو بموزره [1] على ألفٍ من القوم الأخر
قوّادها أسد إذا ما دمدموا حار النظر
ضباطها في ساحة الأ بطال لا تبدي ضجر
(ياجوج) في رعب ودا ء الخوف فيها منتشر
(في يلدزٍ) قطب الملو ك أمامه السفرا تخر

في وصف الأسطول :

البحر يخضع إن به (أسطولها) يوماً مخر
(بمدرّعات) لا يقي من بأسها إلا القدر
(غوّاصها) إن غاص لا يدري لعاديه مقر
(تربيدها) إن خاض لج البحر لا يبقى مفر

بيان حقيقة :

الله أعظم هكذا الـ اسلام من قبل أمر

---

(١) نوع من السلاح الجديد المسلح به بعض الفرق من العساكر الشاهانية .

لكن جهلنا وانتحلنا الـ زهد فاشتد الخطر
ما ساد هذا الدين إلا بالمهند ذي الفقر
لا بالعزائم والضريـ ـح وبالطلاسم والطرر
أو « بالدفوف » وهزها عند العشية والسحر
أو « بالقيان » وبالمعا زف والتكاسل والبطر
« هيهات هذا » والوقـ ـائع شاهدات لا خبر
من ذا يرينا أنه بالصحو يأتينا المطر
إن لم يكن (برق ورعـ ـد) في غمام ذي شرر
في باطن التاريخ شـ ـاهد قولنا يا من حضر
فلم النبي بصحبه خاض الحروب ولم[1] هجر
ولم اعتلى ظهر الجوا د وفي النزال السيف جر
لم جهز الجيش القلي ـل وزاده بعض التمر
(هل) جاءهم بمثلث ومربع أم هل سحر
(هل) قام فيهم شاطحاً متمائلاً حتى سكر
« حاشاه » لا والله بل بالخيل والتقوى أمر

(١) بإسكان الميم .

طالع ترَ السلطان في حصن منيع ما حذر
وإذا تهاون أو تهـ ـوّر أو تملق واستتر
وبدت بحاجبه الخيا نة[1] زال منصبه وخر
لا ريب في التاريخ آ يات تناجي بالعبر

●

قلت ما سيأتي في حق جريدة المعارف التونسية لما اطلعت على بعض أعدادها وأعجبني مشربها وما كدت أقول هذا حتى احتجبت « بكل أسف ».

زفت (معارف) تونسٍ في مظهر زان الأدب
(وطنية) تحمي الحمى تشفي السقيم من العطب
تسقي الزعاف عدوها ترضي الضعيف إذا غضب
(دينية) نبراسها يهدي الجهول إذا اضطرب
من بحرها طفحت سيا سة من تكلم أو كتب
تغني الرئيس عن الجلي س وتمنح الروح الطرب
تحريرها نسج الحري ر ونظمها سبك الذهب
أخبارها الحق الصر يح ونصحها يا للعجب
فهي (المعارف) هي هي ولا مراء ولا تعب
فليستنر بهلالها شعب الأعاجم والعرب

(١) كبعض ملوك وقتنا .

ولتمدد الأيدي لهـــا حتى يتيح لها الطلب
يا أيهـــا الخضراء قد جاد الزمان بما وجب
حان التيقظ فانهضي واستنهضي فالسعد هب
حيي الشبيبة واكشفي عنك الحجاب لمن خطب
إن الطبيعـة لا ترى إلا الظهور وإن صعب
وابن البروني مذ رأى حسنى (معارفك) انجذب

•

قلت ما سيأتي جواباً للأديب الشيخ أحمد (وقد ذكرناه في غير هذا بمحمد سهواً) الشنقيطي المغربي عن قصيدة هنأني بها على أثر صدور العفو حررتها ارتجالاً ورسوله واقف لاشتغالي بالحاضرين للتهنئة :

أهدى الحبيب إلى الحبيب رسالة صدرت من الفكر السليم الصائب
دلت على ما للمحب من الرضا ومن السرور بعود هذا الغائب
قامت مقام العز والإجلال إذ وصلت فأعلينا مقام النائب
هناتنا فلك الهنا ولك المنى يا فاضل فاسعد بنيل رغائب
خذها إليك تحية مسكية من مخلص الحب الغريب الآئب
ذاك ابن عبد الله راج ستر ما يبديه من عيب بنان الهـــائب
ثم الصلاة على النبي وآله ما رن حاد في الدجا لنجائب

•

وقلت في رثاء العلامة الشيخ محمد بن الشيخ قاضي مدينة القرارة إذ قتله أحد السفهاء لحكم حكمه عليه وهو من أجلّ بيت علمي وأشرف عائلة في بني ميزاب:

أمحمد بن الشيخ يا فخر القضا يا معدن العرفان يا إكليل
يوم القيامة آتنـــا كمعفّر مسكاً ومنك دم الشهيد يسيل
غدراً قتلت فلا أراه مبرءاً لست الجبان ولا أراك عليل
حذرٌ زمانك ما حييت مباشراً أمر القضاء وشأنـك التعديـل
لست المغفل انما أمر جرى حسب القضـا ما للنجاة سبيـل
ما للبقا خلق الخلائق ربنـــا بل كي يصيب جميعها تحليل
من لم يبارح راضياً[1] متزوداً خير الخصال له الكتاب دليل
عما قريب سوف يدعى خاوياً[2] صفر اليدين ويومه لطويـــل
كلٌ يوافي يومه فلكم مشى في ذلك الدرب الخطير جليل
كم جهبذ وغضنفر ذي سطوة قهر الملوك به الزمان يميـل
خلى قصوراً شاهقات شادها بيد الفنا وتخطفته الفيـــل
لم يغنه مـــال ولا ولد ولا جاهٌ ولم يقبـــل له توكيل
كرر تواريخ الألى سبقوا تجد أن الفنا للانبياء سبيـــل
لست المفاخر بالرثا شعراً ولا ممن به نهر القريض يسيـل

(١) أي مرضياً كقوله تعالى : ﴿فهو في عيشة راضية﴾.
(٢) في يوم الحساب .

لست المحرر ما يعاب وإنما [1] رؤيا الإمام على الكمال دليل

رؤياه صالحة بـــلا ريب لذا عنها لمدحك صار ذا التعويل

ما قـــال ذلك ناشراً إلا له سند وحسن الظن فيه كفيل

ولعل جدك أو أباك الصالحيـ ـن تشفعا فسقاك ذاك النيل

نعم الشهيد «محمد» أعطيت حق أبيك في الدنيا ونعم سليل

ثم اجتذبت مجاوراً طود التقى [2] حساً ومعنى نعم ذا التحويل

كل يريد جواره لكن غدا حظ القريب السدس وهو مقيل

والجد حاز الكل عكساً للقضا فالدار غير الدار لا تخويل

ولأن غدوت مهنئاً بجوارهم فسنان فقدك في الفؤاد نزيل

لا صبر بعدك ما تطاول عمرنا والدمع ما امتد الزمان يسيل

لاحزن (لا) والله (لا) والله (لا) لكن مثلك في الرجال قليل

---

(١) ذكر لي أن الاستاذ الأكبر رئي له بعد وفاته رؤيا حسنة وأخبر بها وهو من أكبر تلامذته الأولين فكانت الرؤيا أعظم منشط لنا .

(٢) وضع بعد وفاته بجنب قبر والده الجليل برهة من الزمن ثم اقتضى الحال نقله إلى (ميزاب) على مسافة يوم تقريباً فدفن هناك بجنب جده المشهور المرحوم فكان سهم الجد (صاحب السدس) كل المجاورة إلى قيام الساعة وحظ الأب (صاحب الكل بعد السدس) ساعة زمانية فكـــأن في ذلك إشارة إلى أن أحوال الدنيا غير أحوال الآخرة (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

كيف التحزن جائز من مثلنا هـــلا له معنى وليس يزيل

والسابقون من الخيار بلا مرا ورد الحديث بذا ونعم القيل

سقياً لربعك يا محمد فابلغن مني التحية للرضي النيل [1]

وليصبر الباقون إن شاءوا وإن جهلوا فعذرهمُ لدي ضئيـــل

لكن (أبا بكر) أراه ممارساً وله اطلاع زائد ونبيـــل

«لا غرو» أن ملك التجلد واكتسى ثوب الرضا فالعلم فيه أصيـــل

قل «يا أبا بكر» نعم إني لها ولكل خطب في الأمور ثقيل

كيما أقول مؤيداً لك دافعاً [2] عنك الملامة إذ عناك زميل

(حق لمثلك أن يعزيه الورى) حضراً مقيماً قادر وعليل

أنت المصاب بدا ونحن أحبة فإليك نقتحم الفلا ونطيل

لا عيب إن لم تأتنا لديارنـــا إلا «الإمام» فما عليه سبيل

---

(١) أي صاحب كتاب النيل العلامة الشيخ عبد العزيز رحمه الله .

(٢) كان الشيخ أبو بكر غائباً حال وفاة أخيه وقد جاء الناس من كل البلاد لتعزية ذويه ولما حضر رأى بعض الفضلاء من أصدقائه أنه لو مر في طريقه على « ميزاب » حتى لا يكلف الناس السفر إليه مرة ثانية لكان أنسب فنشأ عن هذا بعض عتاب ودادي بينه وبينهم ولذلك قلنا ما سمعته .

إن زرته نلت الرضى وكفيته ... هذا أحق وما لديك جميل

قوم (همُ) غرر الزمان أفاضل ... عابوك حباً لا الوداد نحيل

فالودُّ يبقى ما العتاب مواصل ... «ان لا» فما لك في الأنام خليل

فاسمح لهم إذ عاتبوك وقل لهم ... إني نصيرك « والإمام » كفيل

واصبر وصبر كل منتسب لكم ... وقل البروني مخلص ووكيل

•

وقلت في رثاء الولي الزاهد العلامة الشيخ قاسم بن الشيخ القراري رحمه الله والد القاضي المرحوم المتقدم ذكره وهذا ثالث ما نظمته .

قل لمن تاه دلالاً وهوى ... انتبه للموت واهجر ذا الهوى

فمنادي الحزن قد أزعجنا ... وغراب[1] البين قد هد القوى

إذ نعانا بوفاة المرتضى ... قاسم شهم همام ولوا

فسكبت الدمع ممزوجاً دماً ... سائلاً من قطرة الورد روى

قائلاً مسترجعاً واهاً على ... فقد هذا المنتحى والمنتوى

كيف يهنا الصبر ياقوم وقد ... غار بحر كان للدر حوى

هل لنا من بعد هذا أحد ... يعظ الناس ويشفي بالدوا

هل لنا من يقتفي آثاره ... بعده من كان يدري ماروى

---

(١) جواب نعيه الينا .

من يقيم الليل إحياءاً له ... بركوع من تحاشى وارعوى

من يرى الصوم دواماً حرفة ... وله من خشية الله انزوا

من لسكب الدمع خوفاً للذي ... جعل الارض بساطاً واستوى

من إذا ما جئته زائره ... تلق بحراً منه تزداد ارتوا

(أبني مصعب) زوروا قبره ... واطلبوا الله لناحسن النوى

(أبني مصعب) أبكوه دماً ... ما حييتم وإن الجسم ضوى

قد بكاه الناس طراً ولذا ... كل قلب سمع النعي انطوى

وبكته الكتب إذ فارقها ... وبه قد شفها حر الجوى

لا تقولوا إنه ميت ولا ... غاب عنا بل مع الحور ثوى

وجنان الخلد من مسكنه ... برد الله ثرى عنه احتوى

أبني مصعب لا تستسلمـــوا

واحذروا لا تتبعوا طرق الهوى

فجميل الذكر ذاك المنتقى ... نجله الأكبر[1] قد صار لوا

وغدا فضلاً هما ما سيداً ... فيصلاً قاضٍ بعدل ما نوى

وأبو بكر[2] كذا من بعده ... إذ حوى الفضل وللعلم روى

---

(١) هو الشيخ الاديب محمد القاضي المتقدم رحمه الله .

(٢) هو الشيخ أبو بكر قاضي قسنطينه سابقاً .

وإذا الليث ثوى في رمسه صار للدين من الشبل قوى
(يا أبا بكر) تجلد واصطبر إن في الصبر لأجراً ودوا
قد أصبنا وبلينا يا لها قصة عمت ببلواها الهوا
لا تقل إني بها منفرد اننا والله فيهـــا لسوا
وإذا ضاق بك الحال فقم واذكر الله تر الأمر انزوى
وتذكر من مضى من قبلنا من أطاع الله مع من قدغوى
كنبي الله نوح جدنـــا ملك الموت له العمر طوى
وسلـــيمان بن داود الذي قهر الجن وللملك حوى
صلوات الله عنهم قد مضوا بقضاء هكذا الرسل روى
أين فرعون وشداد ومن بعده ممن على العرش استوى
هدموا قصراً وعـــلوا غيره
وطغوا في الارض طوعاً للهوى
كلهم بادوا ولم يبق لهم غير ذكر بلسان ذي التوا
وإذا لم يكف فامعن نظراً تلق فقد المصطفى يسلي الجوى
وقل إن الموت حوض والورى
كله يشرب كأساً بالسوى
وهي باب كلنا ندخله من حقير وجليل ذي قوى

عظم الله لك الأجر فلا جزعٌ يورث غير الاكتوا
وكذا كل قراري صفـا وبنو مصعب أهل الاستوا
وإذا ما جئت نحو القبر قل رب روح روح من فيه انطوى
وعلى المختار صلى ربنا ما أضا برق وما رعد دوى

•

قلت في فقيد الشهامة والوطنية مصطفى كامل المصري الغيور صاحب جريدة « اللواء » وذلك سنة ١٣٢٦ :

إبك الدماء وقل لمصر قد عفا ربع تجندل فيه «كامل مصطفى»
مزق فؤادك يا غيور تأسفاً واندب «خطيباً» كان بدراً واختفى
إجرح برمح الحزن أكباداً وقل للدهر قد عاكستنا هلا كفى
من ذا الذي أبقيت إذ غالبتنـا في « كامل » لم يا ترى هذا الجفا
أرضاء خصم كنت تطلب أم غدا أجل الهمام المستنير على شفـا
أطربت فرداً يا زمان مزعزعاً ركناً به حزب الشهامة قد صفا
« الله أعظم » يا زمان فمن يشأ تأييده فوعوده لن تخلفـــا
ما أنت إلا للقضـــاء مسخر لست الحياة ولا الممات ولا الشفا
فارفق بمصر العارفين بقدرهم وفخارهم وجدودهم أهل الرفا

الناهضين لقمع طاعن دينهم[1] النابذين لكل خداع هفـــا
الذائدين عن المواطن غـــيرة الحاملين (لواء كامل مصطفى)

•

وقلت هذه القصيدة يوم الأربعين من وفاته على اثر رجوعي من المغرب ونشرتها في عدد ٢ من « الاسد » :

هي الحيـــاة تجددت بقوانا ما مات « كامل » بل تعاظم شانا
حياً وميتاً أنت قائد أمـــة يا « مصطفى » كانت تقاد هوانا
لو كنت تعلم أن موتك جامع[2] تلك القلوب لكنت غبت زمانا
أحييت في يوم بموتك عنصراً لو عشت ما ألفت منه عنانا[3]
أبقيت ذكراً ساطعاً لا ينطفي وأقمت حزباً في العلا يتفـانا
أبكيت من ملأ السرور جرابه بل كان موتك في الصدور سنانا
أبكيت جل العالمين فكبروا وتحسروا إذ قـد بعدت مكانا
(ما متَّ) لكن قد تسلمك القضا وجلاء خصمك من بلادك حانا

---

(١) كرومر عميد الانكليز في مصر صاحب الطعن المشهور في كتابه الذي فرزه علماء مصر وأرباب الصحافة الغيورون جملة جملة وردوا عليه .

(٢) أي لأن جل مساعيه متجهة نحو الاتحـاد ونيل الاستقلال فلو علم أن ذلك يحصل بموته لفداه بروحه من قبل هذا ولكن الآجال مقدرة من عند الله .

(٣) لما فيه من الأحزاب المتعددة المختلفة الآراء لكنها كادت تتحد يوم وفاته بما أظهرته من الأسف عليه والاعتراف له بالفضل .

(ما متَّ) بل من قبل كنت معانداً والآن قـــال الكل أنت هدانا
مامتَّ (لا) غلط رثاؤك (مصطفى) بل زدت عمراً والمعانـــد لانا
ما متَّ (لا) والناس كل للفنا لكن سبقت لكي تحوز رثانا
(ما مات) من ترك السياسة تقتفي فلم البكاء وقـد شددت عرانا
قد كنت تسعى أن تؤلف أمـة فتألفت مذ نعي خطبك جانا
(ما كنت) تعهد أن حزبك هكذا عدداً وحزمـاً يا مدار رحانا
(ما كنت) تعهد أن مصر بشعبها تهزُّ يوم الأربعين حنـــانا
(ما كنت) تعهد أن حبك كامن في كل صدر يا عظيم رجـــانا
كم مات من شهم وكم بطل مضى بـل كم مليك للمنية عـــانا
شهدت جنازته الوفود تكلفاً وتوقيـــاً وسياسة وأمانا
لكن (لمشهدك) العظيم تسارعوا خيلاً ورجلاً عزة لحمـــانا
فكأن مغناطيس هاتيك الورى بفسيح قبرك يوم ظعنك كانا
لو قمت قلت من الذي يرثونه أوليُّ أم ملك الملوك تفـــانا
لا تعجبن إذا القضية جاوزت حد المقام فذا المصاب دهـانا
صعبٌ علينا رزء فقدك إذ (علي) ذو المجد في صحف (اللواء) دعانا
لا زال يخفق والشبيبة ترتقي والصيت يصعد والنفاق مهانا
ما مات من ترك الشقيق مؤدياً حق (اللواء) ولم يكن يتوانا

فاسلك «أبا الحسن» السبيل ولا تهب ... فالحق حصحص والمخالف دانا
ما غاب صنوك والرئاسة بعده ... (لفريد) إذ خدم الكمال مجانا
والله يلهمك الرشاد ويرزقن ... صبراً ليذعن للرحيل عدانا

●

قلت في ضمن مقالة فى المولد النبوي أدرجتها في « الأسد » أيضاً واصفاً حال عوائد المسلمين في المواسم على سبيل الإجمال والتلميح ولما أنها رثاء للاسلام في الواقع أدرجناها هنا :

قم يا « محمد » يا ختام المرسلين ... وانظر بعينك كيف حال المؤمنين
تجد الأمور تحولت عن حالها ... والدين في عهد (السياسة) قد أهين
حل (الحرام) بلا نصوص تقتفى ... واستهزأ العاصي بحال المتقين
واستفحل الجهال واشتد البلا ... واستصغر العلماء حزب الأمين
(الخمر) في سوق التجارة رائج ... أما الخنا فغدا شعار العالمين
عيب امرؤ قال (الصلاة) فريضة ... (والصوم) ضاع وحرم الحج الثمين
هذا (الزنا) أبوابه مفتوحة ... أما (الربا) فتجارة المستعدين
آهٍ بمولدك الشريف تنوعت ... طرق المعاصي في بلاد المسلمين
لا نهي بل لا أمر بل لا منتهي ... حار الدليل وغار حزم المرشدين
من ذا لدينك يا « محمد » بعد ذا ... والله أسدى أجره للمحسنين
غير الخليفة في الورى سلطاننا ... من آل عثمان أمير المؤمنين
فليبذل الجهد العظيم مؤدياً ... حقاً لينصر في دفاع المجرمين

●

قلت القصيده الآتية وداعاً للوطن العزيز « طرابلس الغرب » لما سافرت منها إلى مصر سنة ١٣٢٤ للسياحة وقضاء بعض مآرب وفي العزم أن لا أعود إلا إذا تبدلت حالتها إلى أحسن مما هي عليه بحيث تمكن الإقامة فيها مع حرية النفس وقد أدرجتها في العدد الأول من « الاسد » وهي هذه :

وداعاً يا ديار العز حتى ... أعود إليك في أهنا نهار
إذا ما نحو قطرك مدَّ خط ... (حديدي) إلى تلك القفار
ونور (الكهرباء) أتاك يسعى ... وقيل الماء في البيداء جاري
وطهرت العيون وقام حزب ... (بمعدنك) النفيس و(بالآثار)
وشيدت المدارس واستقامت ... رجالك واكتست ثوب الفخار
وخاطب فيك (بالتلفون) خل ... يريد البحث عن حال التجار
وحررت (الجرائد) واستعدت ... (مطابعها) إلى نشر القرار
ورقيت (الصنائع) واستفاقت ... شبيبتك الحليفة [1] للديار
وجاب الشهم منها الأرض علماً [2] ... وخاض بحزمه لج البحار

---

(١) لأنهم لم يتعودوا السفر إلا قليلاً ومن خاطر بنفسه يسافر إلى بلاد السودان فإما أن يذهب طعمة للوحوش في تلك الصحارى الخالية وإما أن يعود غنياً بعد مشاق يلاقيها .

(٢) بأن يتعلم العلوم الحديثة التي عليها مدار عمران الحياة الدنيا مطية الدين والآخرة ومنها التاريخ والجغرافيا فيصبح عالماً بالأرض ومن فيها وهو في مكانه فيزداد اعترافاً بالله واعتباراً وتنوراً .

وجارى في السياسة من أوروبا ... رجالاً زاحموا قطب المدار

وأبدى الكدّ مخترعاً مجدّاً ... يجر النفع من تحت الستار

هناك تكون يا وطن المعالي ... غزير العلم مجتمع النضار

يسود المرء فيك ينال عزاً ... يحوز الأمن يطمع بانتصار

رزقت بدولة تسعى دواماً ... لتهذيب الكبار مع الصغار

وما نجع الدواء وما استفاقوا[1] ... لحبهم الدمار على العمار

ألا يا قوم قد نمتم طويلاً ... وهمتم بالجهالة في البراري

فهل من يقظة تشفي غليلاً[2] ... وتمحوما استوى من سحب عار

فهمّوا واصدقوا فالصدق فيكم ... عريق واحفظوا حق الديار

وإلا فالوداع وكل قطر ... بـه الاسلام يصلح للقرار

•

(١) لأنهم متمسكون بكل عادة عتيقة ولو كان فيها فساد الدين والملك شأن كثير من البلاد التي يرى عظماؤها الفخر في نبذ أوامر حكومتهم مهما كانت تظاهراً بالقوة ولو علموا قوة الغير لاستصغروا أنفسهم وبادروا للاصلاح .

(٢) فتصبح بلادنا عامرة بالعلم رائجة التجارة بسهولة النقل والتنقل فيها بالعربات والسكك الحديدية مثل جارتيها مصر وتونس« والدولة أيضاً مسؤولة ».

وقلت خطاباً لصديقي العزيز الغيور المرحوم الشيخ صالح نعامه الباروني وأنا في ميزاب من عمل الجزائر مجيباً له عن رسالة بعث بها إلي سنة ١٣٢٤ :

ليتها الغربة تقضى بعجل ... ويصير العام شهراً أو أقل

ونرى الشهر كيوم ينقضي ... والليالي تنطوي طي السِّجل

هـين ذاك وإن كان كما ... قيل من أعمارنا ذاك العجل

ساعة تعدل شهراً عندنا ... فمتى يا هل ترى نيل الأمل [1]

فأبو النصر[2] أتى بالحق إذ ... قال لما حل (لالوت) الجبل

« رزقنا في دارنا خير لنا ... شامنا جنة فردوس الحلل »

أي شيء عندنا أشهى لنا ... من لقاكم (حاشا) لو كان عسل

فمنانا وصلكم عزماً على ... أحسن الأحوال في ذاك المحل

بالنبي المصطفى خير الورى ... أحمد الأمي ذو القدر الأجل

صل يا رب عليه وعلى ... آله ما ابن البروني اشتغل

•

(١) أملنا الحصول على القدر الكافي النافع من العلم .

(٢) أبو النصر الشامي علامة شاعر عيّن قاضياً « للالوت »من الجبل الغربي وهو مسن فصعبت عليه الغربة وخاطب والدي بقصيدة منها هذا البيت يشكو فيها زمانه ويتشوق إلى الشام.

قلت على لسان ذي الرفعة محمد بك النائب الطرابلسي قائمقام قضاء فسطو بطلب منه في حق والدي حفظه الله إذ كاتبه مرشداً له ومنبهاً عن بعض أمور تختص بوظيفته وقد نظم من عنده قصيدة أخرى ستأتي :

أهديت يا بدر من أقوالكم غرراً منظومة في عقود ما لها ثمن
«ذكرت ارشدت أحييت النفوس فمن ذا مثلكم في سبيل النصح يمتحن»
ألفاظكم حكم أضحت مقدسة تهدي قلوب أناس طالما فتنوا
بلغت واجب علم أنت مركزه فقمت تنذر قوماً للهوى ركنوا
وهكذا ديدن الاسلاف نعرفهم لذا بك افتخر الاسلام والزمن
«بالله ذكر فإن الذكر ينفعنا جدد وسدد وقارب فالورى سكنوا»

•

قلت ارتجالاً على لسان ذي العز موسى عارف بك قراده مأمور تحرير الأملاك لما أظهر شديد أسفه عندمبارحتنا لالوت في جماعة من الأعيان وتركناه مباشراً أشغاله :

روح المحب مع الأحبة قد سرى إذ بارحوا لالوت واسطة القرى
وغدا يهيم تألماً لفراقهم ويئن مشتاقاً وقد هجر الكرى
هل يا أحبة في حصول لقائكم أمل قريب أم تحللت العرى
لا لا فإني في اعتصام زائد بجبال ودكم الخلي من المرا
أهدي السلام مع التحية ما همى غيث وحن لإلفه ليث الشرى



الشيخ سليمان الباروني في أول عهده في مصر عندما قصد الأزهر الشريف بعد جامع الزيتونة في تونس لإتمام تحصيله

قلت ليكتب في رخامة على عتبة مدرستنا ترغيباً لمن يأتي بعدنا من الأجيال إن طال عمر الدنيا وأهلها :

هـذه آثارنا فادع لنـــا وقل المرء عليـه الفعل دل
(قيمة الانسان ما يحسنه) حكمة سار بها ركب المثل
مثل ذا فليعمل العامل أو يتنكب جهة كي يعتزل
لا تباهي القوم بالمال ولا بعلو الجاه أو سبك الجدل
واعتبر مـــا قاله الورديُّ في
نظمه الحكمي إذ قال (اعتزل)
« في بيوت اذن الله غدت آية تدعو لاصلاح العمل »
فتدبرها أخا الفهم وقم بدياجي الليل واجهد كالبطل
« حصِّل العـلم باخلاق لهـــا
في الورى صيت ودع عنك الملل »
وتفنن وتأدب واسالن منصفاً شيخك ايضاح العلل
انظم الشعر وهذب لفظه خدم الفكر وجانب من كسل
واتق الله تكن طوداً فما ثمرة العلم سوى هجر الزلل
« واقبل النصح ودع طرق الخنا
والزم الصدق وإياك الخبل »

●

قضينا يوماً في زمن الربيع سنة ١٣٢٢ بمحل يعرف « ببنداو » من جبـــل نفوسة المعروف الآن في البوسطة يجبل الغرب مع جماعة من الأصدقاء هم أدباء القطر ورجاله خصصوا ذلك اليوم للاجتماع بنا وإكرامنا بمـــا لذ وطـاب استبشاراً بقدومنا ثم تواعدوا على العود مرة ثانية (وكان كذلك) ولكن حال دون حضوري معهم عارض فأرسلوا إليَّ رسولاً مخصوصاً فأجبتهم معتذراً ومرغباً لهم في إعادة الاجتماع مرة ثالثة فقلت كالمرتجل :

لأنسٌ بين زيتون وزرع وماء من غدير في ظروف
ومشويٌّ وشايٌ[1] في كؤوس مزججة مذهبة الحروف
وضرب بالبنادق[2] وانشراح وصيد وانتشار في الكهوف
وإخوان الصفا[3] والدهر صاف تنادمنـا بأتباع وقوف
أعز عليّ بل أشهى وأحلى وأرضى من ملازمة السقوف

---

(١) هو : الاتاي ، الشاهي ، التيه إلى آخر أسمائه التي تكاد تبلغ أسمـاء الهر : القط .

(٢) جمع بندقية . وهنالك كنـــا نتعلم الرمي ونصيد الحمام ونتسابق على الأرجل والخيل ملجمة ونأتي كل مباح من القول والفعـــل لا فرق بين الخادم والمخدوم. وفي القصيدة وأمثالها تساهل لأن المقام رياضي ينافي التكلف لاختيار الألفاظ وإتعاب الفكر .

(٣) لأن الجمع كله منتظم من ضباط عسكريين ومستخدمين ملكيين ورؤساء أهليين ولكل أتباع وخدم بقدر ما اقتضاه المقام للقيام بما يلزم من جمع الحطب وسقي الماء والطبخ الخ .

على أنا قضينا الأمس أنساً وجددنا على رغم الأنوف
وأرجو أن أرى في الأربعاء خروفاً مع خروف مع خروف
فمن مسعود[1] أو موسى[2] وإلا
فمن حزب[3] نوى طرباً بسوف[4]
ومن مفتاح[5] أو ساسي[6] وإلا
فمن مستنطق[7] شهم رؤوف
فهل من كيّس يسعى إليها يقول أنا فيرجح بالألوف
ففرد مثل ألف ثم ألف كاف في مهاجمة الصفوف
فمن منكم له القدح المعلى غني القلب للحسنى ألوف[8]
وإلا فالبروني قال « إني لها » ان حل تكليف الضيوف
(أجب) يا سيد الأدباء واصدع بحق لا تهب سل السيوف
فما فاز امرؤ إلا بسيف[9]
صقيل أو لسان[10] أو خروف[11]

---

(١) أمين الصندوق (٢) رئيس البلدية (٣) الهيئة العسكرية (٤) واد من الأودية المشهورة (٥) مأمور الضابطة (٦) عضو في العدلية (٧) أديب أفندي.
(٨) كثير الالفة للاحسان.
(٩) الشجاعة. (١٠) العلم. (١١) السخاء.

أقدم بالنيابة ذا فإما فداءاً أو فعفواً من عطوف[1]

فأجاب في الحال حضرة الهمام الكامل أديب أفندي مستنطق المحكمة العدلية برسالة نثراً ونظماً فقال :

إلى حضرة العالم الفاضل الأكمل محب الأحزاب شيخنا الشيخ «سليمان أفندي الباروني» دام بقاؤه آمين. «أسعد الله يومكم» وإني بالنيابة عن الإخوان الأفاضل تصديت لإعطاء الجواب عن أبياتكم البديعية الأدبية بكليات شبيهة بأبيات شعرية وشبه الشيء وإن لم يكن عينه فقريب منه لأني قليل البضاعة، ولست من أهل هذه الصناعة، غير أني أقتفي تارة أثر الأدباء الأخيار وأزاحم أحياناً نخبة الفضلاء تحت الأشجار، خصوصاً في مثل هذا الفصل فصل الربيع الأبدع، زمن الصفاء والخروف الأدرع، فإذا اعتدل الهوا، وهب نسيم الصبا، فاجتناب الأشجار وظلالها جناية كبرى عند الأدباء. لذلك حكمت بالخرفان. ولحضرتكم إمضاء الحكم وإجراؤه وتعيين المكان. ودم في عز وأمان :

فلا أنس إذا غاب الحبيب ولا فرح يتم لدى الضيوف
ولا ماء الغدير يرى لذيذاً ولو دارت به حمر الكفوف
وبين الزرع والزيتون كنا كمشتاق لرنات الدفوف
وذا لتخلف (الاستاذ) عنا وغيبته على رغم الأنوف
(بنادقنا) لها غرض ولكن رمايتنا من الأمر المخوف

---

(١) معناه : فإما أن أنال جزاء وإما عفواً أو نجاة من تلك المصيدة المنصوبة للخرفان التي لم يزل تنورها يفور، وفرنها يكرر «هل من مزيد» ودورها يدور، على نسق قوله تعالى ﴿فإما منّاً بعد وإما فداء﴾.

ومخشوّ تقدم في أوان وحلواء منظمة الصفوف
واخوان الصفا والصدق حلوا في بنداو[1] البعيد عن السقوف
تخلف (شيخنا) عنا لعذر قبلناه ولكن (بالخروف)
على أن الذي يعطيه (ساسي) (ومسعود) خروفان بصوف
ومن اخواننا العزّابي[2] أيضاً نقيض العهد للعزلا ألوفي
تخلف عن جماعتنا جهارا عليه الحق فاقض بلا وجوف[3]
وموعدنا غدا (أو لا) فيوم يصير بيانه حسب الظروف
ومن يصدع بحق كان حقاً (أديباً) سالماً من كل خوف

محرم ٢٧ ١٣٢٢ مارث ٢٠ ١٣٢٠

فأجبته في الحال والرسول واقف فقلت :

ظننا الجو خالٍ من مجيب عروضيّ خليليّ (نجيب)
فقمنا ندعي في الشعر حظاً حسبنا أنه سبك الأريب
ولم نعلم بأن في الزوايا خبايا أيدت حزب الحسيب

(١) بفتح الباء وسكون النون .

(٢) سعيد أفندي سلالة الشماخيين الكرام عضو في المحكمة .

(٣) بلا اضطراب .

فحكمنا[1] وسلمنا اعترافاً بأن الحكم ماض من (أديب)
رضينا والرضا فرض علينا[2] إذا ما جيء باللحم العجيب
أصبت الفصل لما أن نسينا «سعيداً» وهو أولى بالنصيب
(فبنداوٌ) مباركة فاما بها أو في سواها من قريب
وبادر لا تسوفنا فبرٌ نعاجله دواءٌ من طبيب
(بعشر دقائق) حررت فاقبل
وغض الطرف عن عيب الحبيب
(برونيٌ) تكلفها جواباً لنظم جوهري من نسيب

•

أولمت الهيئة العسكرية في الربيع نفسه وليمة فاخرة بالقرب من (بنداو) حضرها دولتلو المتصرف باشا وفضيلة القاضي الشرعي وكل من أصحاب العزة المحاسبجي بيك ومدعي العموم ورئيس البلدية والمستنطق ومدير الدفتر الخاقاني ومدير البنك العثماني ومدير التحريرات ومدير البوسطة والتلغراف وما يقرب من ١٠٠ نفس بين المأمورين والأعيان والأتباع فأرسلوا في حضوري مخصوصاً بجواب حرره حضرة الكامل (نور الله افندي) اليوزباشي مدير هذه الوليمة فقلت في الحال أبياتاً في الموضوع وأرسلتها مع الرسول وشفعتها بالتماس عذر عن تأخر إجابة طلبهم ولما بلغهم الرسول لم يقبلوا العذر وأبوا إلا حضوري فلبيت وما وصلت المجتمع حتى رأيت منظراً يشرح الصدر ويضاعف السرور ويقر

(١) بشد الكاف . أي قلنا لا حكم في هذا القضية إلا للمستنطق السيد أديب أفندي .

(٢) أي مع أن الحكم شديد محتم التنفيذ والسرعة فلا محيد لنا عنه (ولا حول ولا قوة إلا بالله) .

الأعين رأيت سرادقات مرفوعة يحيط بهـا شجر الزيتون مدلى الأغصان في بساط من الأرض مزخرف بالأنوار الربيعية، والأزهار الطبيعية المختلفة الألوان، المخضرة الأغصان ، ولصهيل الخيل ، وتغريد الحمام ، وصلصلة اللجام ، ورنات الركاب ، من تلك السروج البراقة التركية والعربية ، ألحان تطرب الألبـاب ، وتكاد تكون (فونغرافاً) ذا أدوار عجيبة قاضية بالاستغراب ، وفي مركز الدائرة عقد منظم من أفاضل الترك والعرب،وخيرة رجال نفوسة أرباب الشهامة والأدب ، مرصع بالطربوش العثماني والاحرام (الكساء) المغربي ، مطرز بأعيان الوطن وكبار الحـكام ، والكل في أنس كامـل وامتزاج تام ، ومن أصغى إلى لهجة الكلام ووجدها بين تركية ونفوسية وعربية كلٌّ يقول ما شاء من مبـاح الكلام ولا منتقد ولا تثريب ولا ملام ، ولا محظور مما يشبه المدام ، أدرك في الحال ما عليه القوم بين حاكم ومحكوم من صفاء النية وطهارة السرائر وقال : هكذا فلتكن الرعية والحـكام ، وهكذا شأن الآداب والاجتماع في الاسلام . وإليك القصيدة على ما فيها جرياً على عادتنا من عدم تغيير شيء من مرتجلاتنا إلا أن يكون طفيفاً تحرياً لجانب الصدق .

رسول جـــاء بالبشر ... وطرسٌ فـــاه بالأمر
(بنور الله) بنداوٌ ... تجلت في حلى البـدر
وتاهت وارتقت عجباً ... وقـالت فزتُ بالفخر
(كرام سادة) حـلوا ... فنائي فاعتـلى قدري
فإني كعبة الفضلا ... وإني روضـة العطر
وإني جنة فتحت ... وجلّ الناس لا يدري
فمن حقت سعادته ... ورام إطـــالة العمر

فلا يهجر زيارتنـــا ... ليطربه (غنا النسر)
على أغصان « زيتون » ... بشعب فائـــح الزهر
(وماء) بارد شهـــد ... زلال راق كالتبر
وظل مـا له مثل ... بـه ريح الصبا تسري
وإخوان كعقد من ... نضيد زين بالدر
(ونور الله) في جمع ... يدير الكأس بالشعر
كؤوس الشاي لا كأساً ... بـــه المحظور من خمر
هنيئاً شافياً حلا ... وليمة (طيب الذكر)
سلام الله مـــا لبست ... عروس حلة الستر
على جمع (في بنداو) ... تنظم ساعة الظهر
دعوا لسرورهم خلاً ... (برونياً) أخا العذر
فلبّى مسرعاً طوعاً ... بأبيات بـلا نثر
فلو نطقت بهـا غيدا ... رداح نضة الثغر
محبرة مورّدة ... لها ليـــل من الشعر
خدلجة مهفهفة ... عروب ربّة الخدر
مخلخـــلة معطـرة ... قطوف ناهد الصدر
وصاغتها برنتهـا ... بظل البان والسدر

يمازجها رنين العود ما بعدت من السحر
على عجل كمرتجل ليخدم ثاقب الفكر
(بروني) تكلفها مجيباً (سامي القدر)
فان يسمح « أديب » بالا مثال لهجت بالشكر

•

اجتمعوا ذات مرة إذ جئت لتفقد أحوال المدرسة وزيارة حضرة الوالد في آخر الربيع بالمكان نفسه وقد يبس العشب وكثر الشوك الذي يلتصق كثيراً بالثياب ولم يبق رونق في الغابات ولا منظر في الشعاب ولا راحة في ظلال الزيتون لاشتداد الحر فأرسلوا إلي وكان جوادي غائباً فقلت طالباً منهم إرسال جواد لأركبه فأرسلوه في الحال :

قل (للجواد) يجود لي بجواد فجواده الموجود هو جوادي
لا أعرف الأسفار إلا راكباً فرساً من الخيل العتاق ينادي[1]

. . .

وقلت على ما فيه من الألفاظ المستهجنة بياناً للواقع عملاً برأي من قال « إذا استوت المحبة سقط الأدب » على أن الارتجال لا يدع مجالاً لاختيار الألفاظ وكل شيء في الوجود قابل للمدح والذم باختلاف الجهات « والكمال لله » فلا يعترض علينا بالتناقض في الكلام بالنسبة لهذا المكان :

(بنداوكم) جبل به شوك الكلا متنوع متشتت متعادي
« لا ظل » يحلو « لا مياه » كما نشا « لا زرع » لا زهر ينير فؤادي

(١) أي يصهل لأني أحب دائماً ركوب الذكور من الخيل .

فيه الدبور مع الجنوب تلاقيا « والبوم »[1] فيه على العوا متمادي
هلاّ تخيرتم مكاناً غيره كاجنة الرومية[2] المعتاد
جبراً لخاطركم تكلف خلكم تعب المسير بطول هذا الوادي

•

قلت مهنئاً صديقي الفاضل الشيخ عمرو العوام بزوج جديدة طلباً للولد :

هنيئاً بالرفاء وبالبنينا نكاح البكر يا عمرو الأمينا
نكحنا نحن لكن ثيبات يمثلن الجدود الغابرينا
طربنا إذ رميت فنلت قصداً
به أنسيت صنع الأولينا
كذا فلتفعل الأبطال فابشر « ببدر » نير في العالمينا
(سليماناً) أسميه ليبقى سليم الدين والدنيا سنينا
وخذها من صديق بارتجال
وغض الطرف عن عيب كمينا
أسرُّ إذا تبشرني بحمل[3] فسل مولاك والتزم العرينا

•

(١) طائر مشهور يسكن الخراب والكهوف .
(٢) واد ذو عيون وظلال .
(٣) كأني أرى بعضاً يقول (ما هذا الكلام) وما هو إلا أمر بمعروف وإحياء لسنة وتنبيه إلى واجب ، وليس من باب الهزل .

قلت خطاباً لصديق أخبرني في رسالة بكذب ما شاع في طرابلس من صدور إرادة من مولانا السلطان في حقي وذلك في أوائل ذي الحجة من سنة ١٣٢٥ :

بشرى السلامة أشرقت[١] من كوكب (العيد) الأغر
فليلتقم صخراً كـذو ب بالاشاعة قـد جهر
إني (حميديّ) زلا ل الصدق لا أبدي كدر
لا أنثني عما به ربيت من هجر الغرر
والامتحان يريكمُ إن كنت تبراً أو حجر
(إن الكلام لفي الفؤا د[٢]) بطيهـا سر ظهر
هذي صحائف (ضيغم)[٣] تتلى وما فيها خطر
لا يعدلنّ خليفـة الاسـ ـلام إلا المنتظر
« ان كان » أو فالنصر في ذاك « الهـلال » المعتبر

---

(١) في هذا البيت كغيره إشارة لا يعلمها إلا المقصود بهـا وباختلاف المقاصد يحصل سوء التفاهم والظن الفاسد فليتنبه .

(٢) هذا صدر بيت مشهور وهو هكذا :

ان الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والاستدلال به هنا واضح .

(٣) أي جريدتنا (الأسد الإسلامي) الشاهدة بإخلاصنا .

جهراً أنادي هكذا رأيي ومن مثلي نظر
فالويل للأفـاك إن يوماً به « أسدي » سخر
أين الطريف من الظريف وأين سحر من سحر
الفرق أجلى من بني زيـد على جرف فخر
أو قال مينا خالد وإذ استنار الحق فر
أو (ثعلب) لما بدا « أسد » عوى خوفاً وهر
فعلى كلا الحالين مـا (للجعل) في طيب وطر
لا يطلب الديدان إلا خنفسـاء محتقر
دع ذا الخنا في غيـه « فالأسد » لا تبدي ضجر
(والصقر) لا يأوي الخبا ئث « والغراب » لها خفر
قل قبح الله (السعـا ة) على الأفاضل لا تذر
والعن خسيساً قد عني بالزور في نقـل الخبر
واعلن باخلاص لمن نال (الأمانـة) وانتصر
(عبد الحميد) المرتضى بدر المعـالي مذ ظهر
واعلم بلا ريب وقـل مـا للموسوس من مفر
« الله أكبر » أشرقت شمس الحقيقة في الحضر
وغدا الظلام مسوداً وجه الكذوب ومن فجر
الحق يعلو والموسو س لا يزال على كـدر

●

وقلت وأنا في تونس :

ما ترقّى « الهند » إلا برجـــال كالأسود
خدموا « الهمة » حتى جددوا مجـد الجدود
طلبوا « العلم » فنالوا هجروا بيت القعـود
هكذا مصر سرى في جسمهـــا سم الكنود
فتولى الطب فيها (فاضل) وافي العهود
فأثار الروح بـــل جد دها من عهـــد هود
ولذا (الخضراء) قامت تبتغي نسـج البرود
فهي في نيل مرام ونجاح وصعود
ما غدا ناصرها (النا صر) محفوظ العهود
وبدا الارشاد في الصحـ نف كبرق في رعود
جنة تلفى وحيناً جمرة ذات وقود
هكذا أو فالتغاضي خير آلات الردود

●

أضافنا أحد أكابر تجار الجزائر « من بني ميزاب » يوم عيد النحر وبعد أن صلينا أحضر (عرباته) فركبناها في جماعة من أكابر الأعيان وسارت بنا إلى المحل الذي فيه الغداء والمقصد الأهم من ذلك الرياضة وبعد أن تناولنـــا الطعام ركبنا حتى انتهى النهار ومضى جانب من الليل فكان ما قطعناه من المسافة بين الزرع والأشجار والجبال نحو ٨٠ كيلو متراً تقريباً وعدنا إلى الجزائر وأنوارها تتلألأ من بعيد فقلت :

طربت بنا ريح النسـ يم صبيحة العيد الكبير
من بعد أن صلى الإما م وكان في جم غفير
فتسابق الاخوان كل راكب متن السرير[١]
عال جميل شكـــله فكانه تخت الأمير
والخيل تمرح والحوا فر لينات كالحرير[٢]
خيل عتاق تعتـلي لو قابلت خيل السفير
تطوي سجل الأرض طيـ ـاً لا يمازحه خرير[٣]
يشدو بها الشعراء لو كان الفرزدق أو جرير
أو فارس الشرق الإما م الحضرمي ذاك الشهير
وإلى اليمين مع اليسار[٤] إذا نظرت ترى الغدير[٥]
والجو صاف والحما م على الغصون له هدير

---

(١) العربة « الكروصة » .

(٢) لشدة الاعتناء بها .

(٣) لانتظام الطرق ومهارة السائق .

(٤) هو أنسب للمقام من الشمال لما فيه على صورة اليسار ضد الفقر (والله يحب الفال الحسن) .

(٥) لأن ذلك كان على أثر نزول المطر .

وأمامنا بحـــر خضم راق لا يبدي هرير[1]
والزهر يبسم والربى تختال في برد النضير
وعلى البسيطة سندس خضر حكى نسج الحرير
حتى جرى ذهب الأصيـ ـل على اللجين المستنير[2]
والشمس في رفع وفي خفض على سمت تسير
فكأنها والبحر يغبط وصلها حوراء دير
أبدت محيا وجهها وإلى مغازلها تشـــير
فكأننا وكأنـــه وكأنها وهي المنير
خلٌ خلا بخليله وعليهما اطلع الخفير

وإذا (الجزائر) رصعت بالكهربا النور الشهير

---

(١) لأنه لا أمواج فيه .

(٢) في هذا الوقت وقفت بنا العربات في ربوة عالية تطـــل على البحر من جهة وعلى الجبال والرياض من جهة والشمس غاربة في ناحية البحر وقد بسطت نورها الذهبي على سطحه الفضي كما قيل :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وكان البدر إذ ذاك طالعاً من الأفق الشرقي كالمراقب والأنوار الكهربائية في الجزائر بيننا وبين البدر والشمس والبحر قد بدأت تلوح كالدراري الثاقبة وكادت تكون سماء تحت السماء (فلله منظر ما أجمله وموقف ما أهنأه أحيانا الله جميعاً لمثله) .

ومن المشارق لاح بد ر التم وارتاح السمير
حل الركاب برحله (وعميرنا) هو المدير
قلنا السلام على (الجزا ئر) وانتهى هذا المسير

•

وقلت ونحن في رياضة ببرج القليعة من ملحقات مدينة الجزائر وكان غداؤنا عند رجل عظيم القدر من أعضاء مجلس إدارة ولاية الجزائر وذلك يوم توجهنا إلى مدينة تلمسان للسياحة :

بين الجبال وبين حو ض البحر أبهى منظر
طود به قصر (القليـ ـعة) والمناخ الأخضر
فيه استرحنا وارتشفـ ـنا كاس شاي أعطر
(زكار)[1] واسطة الجبا ل أمامنـــا كالمنبر
وترى البليدة[2] كالعرو سة في فسيح أزهر
(متيجة)[3] طاووس يرـ ـفل في عقود الجوهر
وأمامها شم الجبـــا ل تصففت كالعسكر

---

(١) بالكاف المشدودة جبل مشهور هناك .

(٢) مدينة مشهورة بهوائها النقي ورياضها النزهة ومائها العذب البارد .

(٣) (بشد التاء قريبة من البليدة) .

قد توجت هاماتها وتعممت بالكوثر[1]
بالله ما أشهى المنا ظر في النهار الأكبر
حيث الغزالة أسفرت في برد نور أحمر[2]
قل يا نديم صفا المدا م وطاب نشر العنبر
فاشرب هنيئاً وابتهج واعرج لبرج المشتري[3]

●

وصلت أناورفيقي مدينة تلمسان على قطار الليل ولا نعرف فيها أحداً وقدبلغ الشيخ الأديب قاضي مدينة المعسكر توجهنا إليها فأرسل تلغرافاً إلى الأديب الفاضل السيد محمد بن الأعرج الفاسي من أعيان التجار يخبره بذلك فاستعد مع اخوانه لملاقاتنا ولم يظفر بذلك ففرق الرسل في المدينة للبحث عنا في (اللوكندات)[4] ولما رأينا ذلك شككنا في القضية وخطر لنا ما خطر إذ لا علم لنا بالتلغراف ثم اجتمع بنا وقام باكرامنا قياماً لا يمكن تقديره وترك كل أشغاله في السياحة معنا إلى أن بارحناها إلى مدينة أبي العباس فمدينة وهران فمدينة مستغانم[5] فأرسلت إليه في وصولنا أبا العباس جواباً ضمنه هذه الأبيات.

(١) أي الثلج . لأنه نزل قبل ذلك بأيام وبقي جامداً في رءوس تلك الجبال الشاهقة المكسوة بالأشجار فباعتبار صفاء الجو وانتشار أشعة الشمس على ذلك الثلج اللامع والغابات الخضراء والرياض المزهرة يتصور الانسان منظراً يشرح الخواطر ويحيي النفوس .

(٢) وطلوعها حمراء صافية وغروبها صفراء كالورس .

(٣) أي قطار السكة الحديدية الذاهب إلى تلمسان منتهى حكم الجزائر .

(٤) الاتيلات .

(٥) وقد استقبلنا فيها فاضل محترم واجتمعنا ببعض علمائها المشهورين فرأينا منهم ما سرنا .

بمحمد بن الأعرج الشهم اللبيب
ذي الفضل والآداب والخلق العجيب
تسمو (تلمسان)[1] افتخاراً ولتعش
فاس إذا ما أمها هذا الأديب
حاز الكياسة والسياسة واعتلى متن الفضيلة كيف لاوهو الحسيب
ما خاب فرع طاب أصلاً واكتسى
ثوب العلا هيهات هيهات أن يخيب

●

قصدت (قصر أبي سعادة)فاستقبلني بعض أفاضل جماعته في عربة مخصوصة على مسافة أميال فتحولت إليها من العربة التي أتيت فيها ولما وصلناه وجدنا الجماعة كلها صفوفاً أمام السور في انتظارنا فخطر لي هذان البيتان :

(قصر السعادة) دم بالله محروسا وبالكرام (بني ميزاب) مأنوسا
قد أسسوا المسجد المعمور وارتكزوا
للتجر فيك فانى تشتكي بؤسا

●

ولما وصلت مدينة الجلفة استقبلني جماعة من أعيانها الأفاضل على أميال منها في عربة كذلك فتحولت إليها ووصلنا والجماعة كلها أمام السوق الكبير مصففة وإذ رأيت مسجدهم العامر وسيرتهم الحسنة قلت :

وللجلفة الفخر العظيم وحزبها غدا مركزاً منه المحامد تنبع
يرى عجباً من زار مسجدهم إذا تبسم ثغر الفجر والقوم ركع

(١) باسكان الميم .

يرى (مجلساً) فيه السكينة خيمت

وللوعظ تأثير يرى العين تدمع

يرى حلقة القرآن والقوم حولها جلوس على الترتيب والكل خشع

فلله جمع نظمته عناية فقلد جيد الدهر عقد مرصع

هنالكم الشهم الشريف الذي غدا بهمته عند الشدائد ينفع

هما رأى للضيف قدراً فما انثنى يبرهن عن اخلاصه إذ يودع

•

ولما وصلت قصر البخاري وكانت الجماعة في انتظارنا هناك على النسق المذكور وهنالك ذلك العلامة القاضي الجليل قلت :

قصر البخاري هل يمت يا صاح وهل رأيت به قوماً كأرواح

انا أتيناه والحزب الجليل به قد صف ليلاً ولكنَّ الهوا صاح

فيهم (أبو طيبة) القاضي الغيور ومن

آدابه تستميل الروح كالراح

فأنعم بقصر وحزب زان خاتمه فص[1] قد استقبلوا ضيفاً بأفراح

•

ولما وصلت مدينة شلف (أورليانفيل) وكانت الجماعة في استقبالنا على رصيف المحطة يزين عقدهم العلامة قاضي الجزائر الشيخ داود تذكرت تيهرت

---

(١) ذكرني هذا قول العلامة أبي نصر رحمه الله في ديوانه إذ يصف مجلس العلم ورئيسه (وحلقة الخاتم أعجوبة والفضل للفص لدى الالتماح).

وأخبارها لقربها منها وقد كانت في حكمها قديماً فقلت :

مدينة شلف (يا عتيقة) آثار عمرت بجمع سادة القوم أخيار

فهل تذكرين اليوم تيهرت إذ غدت تميد بجيش ناشر العدل جرار

حييت وقد أخنى الزمان ببأسه عليها وكانت من عجائب أمصار

حييت وهذا شلفها[1] متدمر وكانت وفيها الروض حفت بأنهار

فكوني كما في عهدها كنت إذ بدت

وفيها بساتين تموج بأزهار

•

الشيء بالشيء يذكر زرت أطلال مدينة (تيهرت) سنة ١٣١٦ كما أوضحت ذلك في الجزء الثاني من الأزهار الرياضية المختص بأخبارها فأدركتني رقة وأنا أتأمل في تلك الآثار وأتذكر ما كان لها من حميد الأخبار فقلت :

قفا نبك أطلالاً تقلص ظلها وننتدب آثار الذين بقوا ذكرا

بني رستم من قام بالعدل ملكهم

فأمست بهم تيهرت كالروضة الزهرا

تحف بها الأنهار والزهر باسم بروض بساتين هي الجنة الخضرا

أقاموا منار الدين دهراً وشيدوا معالمه (واستسهلوا البر) والبحرا

---

(١) شلف: واد مشهور يشبهونه قديماً بالنيل وكان له صيت مدة ملك بني رستم في مدينة تيهرت .

فكم نظموا جيشاً وكم نشروا عدلا
وكم هندوا سيفاً وكم ضربوا تبرا[1]

وكم من حصون أحكموا ومعاقل
وكم مسجد أحيوا وكم عمروا قطرا

وظل لواء النصر يخفق فوقهم وتيهرت دار العلم والدولة الكبرى
فكم من أمير تحت ظـــل ابن رستم
تقلد فيها السيف واكتسب الشكرا

وكم من إمام كان في الدين حجة وكم في سياسات الملوك ترى بدرا
فامست خلاء تذرف الدمع حولها عيون بها قرت وسادت بها دهرا

كذا الدهر خوان فيضحك تارة ويبكي مرارا صاغ من حلوه المرا
أيا دار كم عمرت والسعد مقبل عليك وكم بالعلم سادت بك الغبرا
عمرت وعمرت البلاد سويعة من الدهر كانت من نوادره الغرا
يشد اليك الرحل من كل وجهـــة
بك العيش رغد طيب وبك الاخرى[2]

---

(١) التبر هو الذهب قبل أن يضرب دنانير أي وكم ضربوا من قناطير الذهب دنانير باسم دولتهم ومن طالع (الأزهار الرياضية) ورأى ما نقلناه في شأنها عن مشاهير المؤرخين علم اننا لم نتجاوز الحد بل لم نأت بما يلزم من وصفها فيما ذكرناه هنا فلا يبادر بالانتقاد « ومن جهل شيئاً عاداه ».

(٢) أي اجتمع فيها الدنيا والدين .

فهل فيك من يدري وقوف متيم يكفكف دمعاً نادباً مربع الذكرى
يئنّ أنيناً يجرح القلب والكلى يفتت أكباداً ولما يطق صبرا
سلام سلام من قلوب كئيبة تسايل اطلالاً ولم تكتسب خبرا[1]
على معهد الاسلام والدين والهدى وربع ملوك كان ملكهمُ صدرا[2]
ألا أيها الخل المرافق قف وقل حيال ديار طالما جبرت كسرا
سقى الله « تيهرتاً » بوابل رحمة يجدد ذكراها ويحيي لها فخرا
وآهٍ وهل يحيي التأوُّه ميتـــاً ومن ذا يرى عمرانها مرة أخرى
بعيدٌ بعيدٌ لكن الله ربنـــا قدير ، على أن المغيّب لا يُدرى

•

قلت مهنئاً أحد أصدقائي من ميزاب إذ بلغني أنه تزوج بكراً ثانية وقد كنت قلت له على وجه المزاح روج نفسك عملاً بالحديث[3] بأن يتزين ويظهر للناس الرغبة في الزواج حتى يطلب :

روجت نفسك حسبما قلنا لذا نلت الطلب
فاسعـــد هنيئاً واغتنم فالغانيات لنا لعب
عش بالرفـــاء وبالبنيـ ـن وبالمسرة والطرب

---

(١) بإسكان الباء .

(٢) لأنهم أسسوا تيهرت واعتبروها مركز خلافتهم سنة ١٤٠ مائة وأربعين من الهجرة .

(٣) هو روجوا بناتكم - الحديث .

قل للعذول إذا سطا هل في التزوج من عجب
هنَّ اللباس إذا استقم ن وهن اكسير النصب
هن الحياة وهنَّ حص ن المرء إن حزن الأدب

•

قلت ما سيأتي ارتجالاً تسلية للعلامة الفاضل الشيخ عاشور شاعر قطر الجزائر لما حضر لوداعي حال سفري من منفاه « البرج » إلى الجزائر وهو ممن لا يجارى في مضمار الأدب والشعر وتوقد الذهن ويوصف بحدة الطبع ، ولعله في الحق إذ ما رأيت منه إلا كل لطف ولين :

البدر يشرف ان ببرج الحمل حل والمرء تعليه المعـــارف والعمل
مثـل الأديب الشهم عاشور الذي في الحق يطمي لا يحابي من جهل
عاشور هذا (البرج) مسعود بكم فاقبل سلاماً من محلٍ مرتحل
عجباً بكم أبدى ارتجـالاً قائلاً (عاشور) مفضال أديب لا يمل

. . .

مـا النقي عيب عند أهل العلم يا عاشور بل لا يعتري إلا البطل
مـا دولة أقصت رجالاً غالبـاً إلا لها رعب بهم فادر المثـــل
إنا نفينا بـــل سجنا بل حصر نابـل حكمنا حكم أعداء الدول
ثم انطلقنا بعد صبر شابـــه حزم وعزم وانمحى ذاك الأجل
عن عفو سلطان الورى حامي الحمى عبد الحميد المرتضى سامي العمل

فاصبر ولا تجزع وكل زائـــل بالامتحـــان المرء يعلو للحمل

•

قلت خطاباً لمتجاسر بالطعن :

اسمع نصيحتنا إن كنت ذا بصر ودع كلاماً رماك الآن في خطر
واعلم بأن لنا أسداً ضراغم إن رمت النزال سقوك السم من سقر
في كل عصر لنا قوم جهـابذة بضوئهم يهتدى للطرق في السفر
وفي الزوايا خبايا والثعالب لا تصطاد بازاً نهاراً أو على القمر

•

قلت في تلميذ كان يكدر راحتنا في الدرس بسوء أدبه إذا حضر :

تكلم ذا البليد بلا تأن ولم يعمل بما قال الحكيم
فقولوا إن بدا في الدرس يوماً حضورك درسنا هذا مليم

•

إن الأديب الفاضل السيد سليمان بن الحاج إبراهيم من أفاضل غارداية حلو الشمائل لطيف المزاح كثير المناقشة في الآداب وكان موضعه في الدرس يجنبي ، فكتب في ورقة ارتجالاً ذات مرة مستفهماً عن أبيات عرضها عليّ قبل ذلك وتلفت مني . فقال :

سليمان هل حررت في نظمنا نكد على أننا لسنا بأهـــل لذاكا

فقلت :

وجدت بلاغـــة وأي بلاغة تدل على أن البليـــد سواكا

قال :

فلولا ولولا منك فـــرط مودة لما قلت مما قلت فاستر أخاكا

قلت :

أقول بصدق لا مداهنـــة أرى جريراً لنظمك العجيب حباكا

قال :

ألا قل بحق يا سليمان واجتنب مقالة حب قـد أردت هداكا

قلت :

لقد قلت حقاً واجتنبت تملقاً ومغ ذا فلم أظفر بنيل رضاكا

قال :

ولو قلت حقاً ما مدحت أخاكسل ومع ذاك لم تعلم عيوباً أراكا

وأنت أحق لو وجدت فصاحة وعلماً ولم أبلـغ لمـدح علاكا

فلا تغتر واعـــلم بأني عاجز كسول أخو نوم فاعذر أخاكا

ومرني ومر من كان مثلي عاجزاً بجـد وعزم يرتقي لسماكا

•

وقال يوماً مرتجلاً وقدر رآني في الدرس بدون نسخة لمنع الشيخ إياي عن المطالعة لرمد في عيني وكان درسنا في كتاب النيل وشفاء العليل :

أين نيلك أين خيلك حزت فضلاً فاز جيلك

خاب من كان يميلك في غد يوم التنادي

قلت :

نيلنـا وهو دليلك غاب لا غاب خليلك

ولذا صـار زميلك كالذي من غير زاد

•

دخل علينا ونحن في الدرس فاضل من المعروفين فقال مخاطباً إياي في حقه :

حج وزار فغوى فرام الكسب والهوى

تمت ضل وهوى بكبره المعظـم

فقلت في الحال :

هل ذا اغتياب عن هوى حرمه من قـد روى

أم جائر لمن نوى اظهار حال الآدمي

« أخذاً بقول المصطفى وفاسقاً قد أخلفا »

« اذكر، ودع أخا الوفا زنا ، وشرك العالم »

ثم قلت زاجراً إياه عن العود لمثل هذا لأنه يشغلنا عن سماع الدرس :

دعك من هـذا فماذا شأننا في درسنا ذا

إنمـا الاصغاء فاعلم واجب ان يتمادى

كي نعي ما يشرح الشيـ ـخ صريحاً ومرادا

وإذا قال أعد مـا قلت قلت الدرس هذا

ومما قلته :

يارب صل على النبي وآله ما البدر بان
وانصر عصابة ديننا وارزق لنا بالاطمئنان

•

قرأ الفاضل الأديب الطالب السيد الحاج عبد الرحمن بن الشيخ مرة قصيدة عمرو التندميرتي التي تعرض فيها لذم شرب الشأي وكان إذ ذاك بين أيدينا ونحن في محل السيد الحاج محمد بن دادي اليسقني ولما وصل القارىء إلى قول الشيخ « حشيشة يسمونها بالأتا قد عمت البدو وأهل القرار » قال حللوا لنا ما بين أيدينا وإلا فامتثلوا كلام الشيخ فقلت مرتجلاً على رويه وبحره :

لكن حلال شربها طيب وفي بني يسقن فاشرب جهار
واضب عليها في الليالي وكن للعلم جماعاً تكن ذا اقتدار
فالعلم نور و « الأتا » زيته فاشرب وطالع كي تكون منار

•

يوجد في بعض علماء بني ميزاب من لا يطرق باب الأستاذ الأكبر عالم المغرب لبعض أسباب وقد احتكرني حفظه الله أيام إقامتي عنده في مدينة بني يسقن العامرة فلا يقدم أحد على دعوتي إلا بعد إذن منه فلم يحصل لبعض الأفاضل نصيب فعاتبني على عدم الاعتناء بالذهاب إليه والسؤال عنه حيث أنه لا يمكنه الوصول إلي فقلت وأنا معترف له بالفضل وصحة العذر كغيره من بعض أفاضل بني يسقن الأجلاء :

لامني بعض رجال الـ علم من آل مزاب

قال لي إذ لم أزره لِمَ لمْ تقرأ حسابي
وهو حق عند بعض الـ قوم قاض بالعقاب
لكن العذر جلي غير داع لجواب
لا تقل يا أيها الف اضل أغفلت منابي
إنما زرت « إماماً » قد دعاني بكتاب
فأنا ضيف له حتـ ماً إلى يوم مآبي
كلكم عندي إخوا ن أجلاء الجناب
ورضاء الشيخ في الوا قع أولى بالصواب
فاقبل العذر وسامح واتكن عنك عتابي
واعلم أن اليوم والأم س[1] كظل وسراب
ثقل الكيس وسافر[2] وتأنس بالركاب
تلق للانسان عادا ت كأرقام الحساب
فتخير ما حلا منه ها مراع للكتاب
إنما اليقظة في السـ ير وفي هز الجراب
كم نبيه زجه الاخـ لاد في ربع الخراب
لو رأى الناس وولى لأتاكم بالعجاب

---

(١) ها هنا مقاصد يدركها المخاطب بها لا غير .

(٢) لانه من الأغنياء ولم يسافر إلا للحج أو لجهات قريبة لا تكسبه علماً بعوائد الناس وآدابهم وأخلاقهم الجديدة حتى يعامل كلاً بما يليق به .

كم جبال جابها الرسـ ـل وكم جاب الصحابي
ما انتشار الدين إلا برجـــال كالسحاب
قطعوا البر وخاضوا الـ ـبحر حتى لمزاب[1]
جاوزوا الأندلس الخـ ـضرا لتتميم النصـاب
ثم لمـــا ألفوا الرا حة في طي الزرابي
وادعى الزهد فريق بمنصات الروابي
وفشى التدجيل فيهم واستظلوا بالقبـاب
عكس الأمر عليهم فسقوا سم العـذاب
وغـدت دورهمُ في حكم اقليم الخراب
وبدا الدين غريب الـ ـأهل مهضوم الجناب
ولذا صار شعـار الـ ـدين خلف عند الاضطراب
« هل لنا واأسفاه غير « لاحول وما بي »
وهي لا تنفع ما لم يدرسوا فن الطوابي[2]

•

(١) اخترنا اسقاط الياء من ميزاب عن ذكر (مضاب) الذي هو من أسمائه ومن لم يستحسن ذلك فله أن يبدله .

(٢) جمع طابية وهو في العرف الحربي تقريباً ما كان من الحصون مدفوناً تحت الأرض حتى لا تؤثر فيه قنابل المدافع عند الحرب . والمراد بهذه الجملة هنا التنبيه إلى تعلم الفنون الحربية الحديثة الجارية عند العدو مقابلة للشيء بمثله عملاً بقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » – الآية .

دعانا الفاضل رئيس مليكة وأعيانها الأفاضل وقاضيها المحترم إلى النزول عندهم فأجبناهم وكانت أيام الإقامة نحو ٧ قضيناها بأنس وسرور ومطالعة فقلت :

بقصر مليكة العليا أقمنا ليـــالي مؤنسات كالزلال
(وقاضيها) الجليل ومن يليه و (صالحهم) رجال كاللآلي
وزهرتهم (أبو بكر) فأكرم بمشهور الفضائل والكمـــال
له خلق يفوق الوصف أمـا أياديه فمن شبه المحـــال
فقل في جوده بحر عميق وكررها جهاراً لا تبـــال

•

دعينا إلى زيارة (العطف) وكان أدباؤها الأصدقاء في انتظارنا ومعنا منهم من المصاحبين عدد له بال ولما وصلنا واستقبلونا بتلك البشاشة المبرهنة عن صفاء السرائر قلت الأبيات الآتية لتكون تذكاراً لتلك الساعات المعدودة في العمر من غرر الزمان :

إلى (العطف) حركنا الركاب وعرجنا
على مجلس الذكر الجليـل وحاججنا
فكنـا نرى علمـاً تلاطم موجه
لدى الفجر فاستهوى النفوس فاهزجنـا
هناك رأينا في القلوب مكانة تجل وفيها للبساتين أسرجنا[1]

(١) إشارة إلى سياحتنا في غابتها آخر سنة (١٥) تقريباً .

حظينا فزرنا روضة فاح طيبها وبالشوق ودعنا الديار وأدلجنا
سلام على تلك الديار وأهلها ولولا ولولا ما رحلنا ولججنا

•

دعانا نخبة علماء وأدباء قصر (غارداية) وفي مقدمتهم ذلك العالم الأديب شيخ الجامع (الآن) وذلك الشهم قاضيهم المحترم وبعد قيل وقـــال فيما بينهم وبين الأستاذ وأفاضل مليكة رجحت كفتهم بمودة فأتينـاهم وهم أمثلة للأدب والعلوم والفضل فأوسعونا علماً وأشبعونا مطالعة وإذ دعانا حضرة الشيخ القاضي لزيارة محله الرسمي بالمحكمة قلت ارتجالاً لما دخلناها :

بمحكمة الإسلام (غرداية) تعلو وداود قاضيهـا الهمام له الفضل

...

هذه دار همام دار قاض ذي احترام
فإذا ما زرتموها فـادخلوهـا بسلام
وعظوا القاضي إذ بـ ـالعدل يسمو ذو المقام

...

وقت لما أرسلت إليه عدداً من (الأسد) :

قاضي الاسلام داوود البطل (أسد الاسلام) بالنصرة طل
فتقبل باحترام عدداً منه وانعم باشتراك لا تسل
أيد الآداب والعلم فما ثمرة الجـاه إذا لم يبتذل



هذا الرسم استخرج خارج مدينة غارداية عاصمة وادي بني مصعب بالجزائر وذلك لما زرناهم عقب الحرب الطرابلسية الأولى بعد وفاة الأستاذ الإمام اطفيش رحمه الله . وهؤلاء الموجودون في الرسم هم قواد وقضاة وأعيان بني ميزاب كانوا قد حضروا لاستقبالنا مع قائد الصحراء الفرنساوي كما ترى صورته هنا .

رغب القوم وان لم يدركوا في ابتداء الأمر ما حكم الدول
فسيدرون إذا ما اشتركوا من زئير (الأسد) الأمر الجلل

•

يوجد في جهة مدينة الجلفة شيخ طريقة مشهور له زاوية ومريدون كثيرون وتلامذة يعرف بالشيخ (عطية) أرسل واحداً مخصوصاً ليبلغني سلامه لما بلغه وصولي المدينة عائداً من الصحراء وسمع ما قام به الجماعة من المظاهرة والاحترام فقلت :

أهدي السلام تحيـة شيخ الطريق عطية
من حازت (الجلفا) به بين البـــلاد مزية
يبدي لأعراب البيو ت مراشداً دينية
فاهتزت الأرواح إذ جاء البشير عشية
وتشوقت للقائـه نفس المحب سجية
فاقبل سلامي أيها الش يخ الكريم هدية

•

ولما مررنا على (مدينة المدية) ذات الآثار العثمانية واستقبلنا فيها على رصيف المحطة بعض الإخوان الأفاضل قلت :

هذي (المدية) فانزل بي حواليها واقصد مشيداً عتيقاً في أعاليها

وادخل لتنظر (جمعاً) زان متجرها وقل سلام على الزهرا وأهليها

•

ولما وصلت إلى الجزائر من الصحراء وكان أخي الفاضـــل معي وأفاضل الجماعة والأعيان في انتظارنا على رصيف المحطة قلت ابتهاجاً بذلك المنظر الجميل والمجتمع الفخم :

جئنا الجزائر والأنوار ساطعة من كهرباء ومن غاز كأقمار
حيا القطار فحيانا الأفاضل من أرجائها وهم عُقد كأنصار

•

قلت في حق الأستاذ الشيخ عبد القادر العلامة المشهور بقطر الجزائر إذ جاء للسلام علي :

أهلاً وسهلا بالإمـا م الأريحي الناصر
شرفت بيتاً زرتـــه يا بحر علم زاخر
فاهتزت الأرواح من مرأى سناك الباهر
هذا على دوح الربى صنو الهزار الساحر
حيا وغنى قـــائلاً يا مغرماً بالناثر
بشرى فذا بحر العلـ ـوم الشيخ عبد القادر
قلنا احتراماً والرضا والبشر بادٍ ظـاهر
أدخل هنيئاً بالسلا م يا سعدنا بالزائر

•

أرسل إلي حفظه الله هو وحضرة الفاضل المحرر مـــدير جريدة الكوكب رسولاً ذكر انها سيأتيان إلينا ليلة إذ بلغهما اني سأسافر فقلت أبياتاً وإذ تأخر حضرة المدير لعذر وجاء الشيخ وحده وكانت مشتركة لم أتكلم بها .

(كوكب) المغرب في برج (الأسد) حل بالاجلال في ليل الأحـــد
فصفا الأنس وطاب الالتقـــا مذ غـــدا مركزنا قطب البلد
سيبويه العصر من هذبه أدب العلم فأروى من ورد
ذاك عبد القادر الطود الذي لا يقول القول إلا بسند

●

وصلت في رجوعي من الصحراء إلى مدينـــة (قالمة) المشهورة في التاريخ فاستقبلني أعيانها الأصدقاء الكرام بكل إجلال ثم حكم بعضهم بالرجوع إلى الحمام المعدني المشهور هناك بينها وبين قسنطينة فأسعفتهم وذهبنا إليه فإذا هو ذو منابع كبيرة كثيرة يحيط بها جبال شاهقة ذات غابات شجر لها منظر عجيب يقصده الافرنج من أوروبا وكان إذ ذاك الثلج جامداً على رؤوس تلك الجبـال وبعد أن دخلنا الحمامات وهي في غاية من الانتظام والنظافـــة اجتمعنا للأكل وشرب الشاي على بساط الأرض والمنابع محيطة بنا وبخارها ملأ الجو متصاعداً ثم رجعنا في الليل وقد طلع البدر والجو صاف والعربة تسبح بنا في تلك الطرق المنظمة بين تلك الأودية والجبال الشاهقة وعندها تذكرت تلك الأيام التي قضيتها في جبال نفوسة بطرابلس الغرب أوان الربيع مع كثير من الأعيان في جبل بنداو كما سبق ذكره فقلت :

تدفق ماء معدني من الصخر يذكرني مما تخلد في الفكر
زماناً قضينا في جبال نفوسة بربوة (بنداو) المجاور للقصر

فحنت إلى الأوطان نفس غريبة نات فرأت أنساً باخوانها الغر
فأنّت وتاهت في الخيال ورفرفت عشية إذ هب النسيم على الزهر
ودارت كؤوس (الشاي) بين أحبة
كرام كإخوان الصفا مظهر الفخر
سبحنا وروحنا النفوس سويعـــة
وعدنا وجنح الليل منسدل الستر
تحف بنا تلك الجبـــال يزينها
من الثلج هامات كمنفلق الفجر
وطرق كقضبان اللجين ترصعت
بها الروض من صنف الزياتين والسدر
هنيئاً لنا إذ تم أنس اجتماعنا وعدنا وكل الجمع منشرح الصدر

●

قلت مفاكهة لعزتلو موسى عارف بيك قراده واعتذاراً عن وعد أخلفته معه بعد الاتفاق عليه لأعذار حدثت :

(عقد) بدا في الليل منفسخ فلا تعمـل بقول بالظلام تخللا
انظر قواعد فقهنا في (نيلنا)[1] تجـــد الكلام محققاً متهللا

---

(١) كتات في الفقه كبير .

وعليه لا تحكم بخلف الوعد إن لم نأت في ليل بوجـــه مقبلا
خلق النهار لكسبنا ولدينا [1] والليل قل سكن فنم مستقبلا
لا يشغل المشغول إن شغل بدا والاجتماع به الزمـــان تكفلا
أما الطعام فكل لنفسك ما تشا [2]
من حكمة صدرت بعصر قـــد خلا
فاعمل بها واعذر خليلاً عاقه عن وصلكم في الليل عذر قد جلا

•

وقلت في قضية أخرى معترفاً بالتقصير :

الحكم حكمك والرضاء رضاكا والأمر أمرك والقـــرا بحماكا
الليل أشرف والغزالة ودعت وغدا العشا متأخراً حاشاكا
شطر الطريق قطعت قاصدكم وقد عادت بي الأقدار من مولاكا
فاعذر أخاً بالشعر أبدى عذره واقبل كتاباً بالمودة جاكا
والصبح خير ان طلبت زيارة نعم الصباح به الحبيب أتاكا

•

---

(١) لأن الله تعالى يقول ﴿ وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ﴾ ﴿ وجعلنا الليل سكنا ﴾ .
(٢) هذا صدر بيت وهو مع عجزه هكذا :
أما الطعام فكل لنفسك ما تشا واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

قلت وداعاً لعبدالله بيك الغرياني مدير الحوض الشرقي لما توجه إلى مركز مأموريته بعد أن قضينا أياماً وليالي في أنس بمركز اللواء وهو الأديب الوحيد الذي ما غاب عن مجلس إلا استولى عليه السكوت :

سر بالأمـــان عبيد الله ممتطياً متن العلى بكمال العز والطرب
هات العهود وثق بالود وارض على خل صفي نفوسي أخي العرب
من ذا ينور عقد الاصطفـاء اذا ما سرت يا معدن العرفان والأدب
أرواح قوم لمحض الود قد حضرت
للسير مع ركبك الراقي ذرى الرتب
عد سالماً طيباً أحي النفوس فقد أفضى بناحبك العذري للعجب
لا يهنأ العيش لا يصفو السرور ولا
يطيب أنس ولا ننجو من النصب
ما لم تكن قطب هذا الجمع زهرته
فارحم قلوباً وعد إن فزت بالأرب

•

قلت عتاباً لحضرة الفاضل الأديب الشيخ علي أفندي عيـــاد مأمور تحقيق قضية في فساطو من طرف المحكمة الشرعية الكبرى بطرابلس إذ سافر بعد تمام التحقيق وأنا غائب وقد نزل عندي ضيفاً ووعدني بالانتظار حتى أقدم :

ألا يا ضيف هل وجب الفرار أم اشتاقت لطلعتك الديار
أم استعذبت بالله ارتحـالاً على عجـــل ليقترب المزار
فإن يك ذا الجواب فلست ممن ورب البيت ينفعه اعتذار

على أنا تواعدنا ولكن لإجراء القضا نسخ القرار
كلانا منجز في القصد وعداً ولكن الفتى فلك يدار [1]

•

قلت لينقش في رخامة في المدرسة :

(الله أكبر حققت آمالنا وتوفقت أعمال هذا الواجب)
فغدت رياض العلم مزهرة فيا طرب الفنون ويا سرور الطالب
هذي مدارس جددت يسمو بها لسما المعارف كل شهم راغب
سعد السعود مخيم ببروجها يحيي طريقة جابر والراسبي
بجبينها قلم الحقيقة راسمٌ نيل السعادة حاصل لمواضب
انظر يمينك داخلاً (طوداً) له باع لكشف غوامض ابن الحاجب
وحد . وحدث . قس به . وانظم على
سلك البيان . مجوهرات الصاحب
واصرف . عنايتك التي أوتيتها لبديع . انشاء . الامام الراغب
وافقه أصول . مقالة وافصح . بما يلقيه من لغة . بنطق صائب
واتل الكتاب مدبراً آياته إن رمت مغفرة الإله الواهب
واجن الهدى برياض مكتبة بها كتب (برونيةٌ) عماد الطالب

---

(١) أي يديره القضاء والقدر كما شاء الله .

لا تسأمن من التعلم واهجرن آراء من جهلوا صفات الواجب
واسأل نجاة مرغب ومجدد ومعلم ومواصل والكاتب
لله در (نفوسة) ورجالها [1] أهل الوفا أهل اللواء الغالب
فهم الكرام هم الرجال بلا مرا فيهم أفاضل ملجأ للجائب
هم غرة الجبل النفوسي نوره هم عزه فاهجر مقال الغائب
قد عاضدونا في البناء وشيدوا فغدا منارة مهتدٍ للذاهب
في ظل من نشر المعارف حامياً لشعائر الدين القويم الثاقب
سلطاننا « عبدالحميد » المنتحى فخر الملوك حسام كل محارب

•

وقلت مفتتحاً تحرير السياحة المغربية :

ولما ان رجعنا للديار ونلنا العفو بعد الاقتدار
نهضنا للسياحة والتسلي [2] وجوب البر مع خوض البحار
نزلنا (مصر) ذات النيل فيها رجال العلم كالأسد الضواري
فعلم (مدرسي) فاق وصفاً وعلم (أزهري) كالدراري
وفيها الحر يبدي كل فكر علانية برابعة النهار

---

(١) من (وازن) إلى يفرن .
(٢) وذلك في غرة صفر سنة ١٣٢٤ .

بها كل التسامح فهي حقاً وأيم الله منبع للفخار
بها(العباس)ذو حزم وعزم كريم النفس محمود الاثار
هويناها ومن نهوى سواها وفيها العلم بادي الانتشار
وأسسنا بها للطبع داراً و(للأسد) اقتداء بالخيار

•

وقلت في ضمن خطبة :

على منبري أهدي التحية للجمع
وأنشر أقوالاً سمت من صفا روعي
وأخطب والأقوام تعلم أن لي رموزاً وبعض القول أشبه بالقرع
خطونا خطى لا قدر الله عودها وإلا فأشهى الأمر سام على نطع
خطونا خطى فيها المذلة خيمت علينا ففاضت أعين الحر بالدمع
فمن للورى والدين يا قوم هل دنا زمان اعتناق العدل أم هو قد نعي
متى يستقيم الحال يا هل ترى متى يلذ صدى الدين الحنيفي في السمع
متى ينصر المولى لوا العنصر الذي على الذل أمسى قابضاً جمرة الشرع
متى ينهض القوم الكرام ليصلحوا مفاسد أقوام تواطت على القطع
متى الوطن المحبوب يصبح رافلاً يجر ذيول التيه حراً على الطبع
متى الهمم العليا يهب نسيمها فتنعش أرواحاً تفانت من الربع

متى ومتى هل في المقدر أن نرى (هلالاً بنجم) لا سواه على القلع
(متى تسمح الأيام بالانجلاء عن
هناء ويصفو القطر كالدر في الضرع)
متى موعد الترحال والحج قد مضى
خليلي وإلا لا جنوح إلى (النزع)
فوا أسفا إن مد في العمر وانثنت
عصا القوم للأحرار تؤذن بالقرع
محال (وفي الامكان ان قدر جرى)
جواز انتقال القطب والفلك المرعي
نعم قل ولا تستصعبن وفوضن
لبارىء مصر منبع الضر والنفع
تثبت وخل الهمّ واذكر مقال من
مضى من رجال حرروا موقع الصدع

•

(ألا هل فتى يجلو صداها ألا ألا بجد وحزم وانتهاز إلى العلا)
لينشط معقولاً ويطرب ذا جدع
سلاماً سلاماً لا هنـــاء ولا صفا وداعاً وداعاً للديار وللشرع

•

قلت ما سيأتي على ما فيه سنة ١٣١٣ وأنا في تونس في الجامع الأعظم عتاباً لأخي الشيخ يحيى وأخي الشيخ أحمد وهما في مصر في الأزهر الشريف ومعهما جماعة من الأصدقاء والأقارب :

مالي أرى حبل المواصلة انفصم ... بعد الفراق وصار أشبه بالعدم
ما بالكم اخواننا مـــا بالكم ... أنسيتُم عهداً تقـدم وانصرم
فاستيقظوا وتنبهوا بل عجلوا ... بجوابكم واشفوا الفؤاد من السقم
قد طالمـــا سوفت نفسي بالمنى ... كيما أرى منكم جواباً قد قدم
ثم انقضى زمن التسوف وانطوى ... وأتى زمان بالتشوق منتظم
ووساوس الأفكار آبدت قوة ... تسطو بها وتقدّما مني انظمم
يحيى وأحمد لا تراخي بعد ذا ... ولدى الوصول فبادرا والقول تم

ومنه أيضاً :

ما بالكم لم تفيا بالعهد وانفصلت ... حبال وصلكم من بعد ما اتصلت
أبالتهاون ذا أم موج ودكمُ ... ريح التواني توالت عنه وانهملت
فاخمدته وعـــاد الأمر منعكساً ... والوجه صار قفاً والنفس ما سألت
أم بدلت بالرضا سخطاً نفوسكُم ... وبالتحية والتسليم ما اشتغلت
ماذا التواني وذا الإعراض مالكُم
ألا اقبلوا واذكروا للنفس ما فعلت

وسامحوا أو بعدل فاحكموا وخذوا
فما جزا النفس شيء غير ما عملت
هذا واني على طول الزمان لفي ... شوق لرؤيتكم والعين قد هطلت
أخذاً بقول حكيم ماهر فخذوا ... معنى المقالة والألفاظ قد نقلت
إلزم أخاك ولا تترك مودتـــه ... وإن بك الدار بالأسفار قد رملت
فرب يوم يكون الشمـــل مجتمعاً
والأصدقاء بروض الأنس قد حفلت
فما جوابك لو يبـــدي معاتبة ... بين الأحبة بالبرهان قد كملت
ثم الســـلام عليكم والصلاة على
خير الخلائق ما شمس الضحى رفلت

•

وقلت في الحمام المعدني المشهور في تونس بحمام قربس لما توجهت إليه سنة ١٣١٣ من مصر لبرد ألمّ بي ومكثت فيه ٢٥ يوماً فزال باذن الله وشفيت شفاء تاماً :

حمام قربس أبدى من منافعه ... ما لا يعد ولا يحصيه ذكر فم
صافي الهواء وفي استعماله صور ... وكيفيات بها يلتذ ذو السقم
الشرب والعوم والاسهال أولها ... وأكل لحم طري ناضج اللقم
هذا بسبعة أيام مقدمـــة ... وبعدها سبعة خذها ولا تلم
ماء الحشائش بعد الغلي تشربه ... عند الصباح ترى ما فيه من حكم

وبعد ذا فاحمدن رب الخلائق إذ
شفى وأذهب مـا في الجسم من ألم

سبحان مبدع ما في الكون منشؤه
وجاعل الكل بعد الخلق في عدم

أهدى العبـاد إلى استعمال حكمته
للانتفاع بمحض الفضل والكرم

•

قلت في العمامة والطربوش العثماني :

لبست التاج تاج الفخر كيما أرى أن العمامة من شؤوني
وأنشد قول من هزم السرايا وخاض برمحه لج المنون
(أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني)
فإن العز معقود لواءآ على هام العمائم والحصون
فهذي بقذفها دكت جبال وتلك بطيها رفع السكون

. . .

تعمم سيد الخلق المفدّى كذا الخلفاء في خير القرون
تعمم فاتح (البوسفور) قهراً
وحاكم (مصر) ذو العز المصون
وحاكم(تونس) الخضراء لما تعمم حاز سبقاً في الفتون



الشيخ سليمان الباروني في أول صورة له بالطربوش عند فوزه في الانتخابات بالتزكية لدخول مجلس المبعوثان العثماني سنة ١٣٢٦ هـ .

(تعممنا) فسدنا كل قطر وبعد البر خضنا كل جون

(تعممنا) فاخضعنا عتاة طغاة طالما قالت ذروني

(تعممنا) فامنّا نفوساً وراقبنا المعاند بالعيون

(تعممنا) فأرهبنا أسوداً بتشييد المعاقل والحصون

(تعممنا) فعلمنا أناساً رأونا اليوم أعداء الفنون

(تعممنا) فنازلنا أوروبا بمركزها بجيش كالجنون

(تعممنا) فتم الملك فينا وساد الدين في كل البطون

(تعممنا) فنلنا كل فخر (تطربشنا) فهل نلنا أروني

. . . . . .

ولنا كلام من هذا القبيل نفيس جداً في الطربوش سنذكره في غير هـــذا وأملنا أن ينتصر للطربوش لابسوه بكيفية كهذه لا يمسون فيها جانب العمامة بسوء كما لم نمس الطربوش .

(انتهى ما أمكن جمعه الآن على ما فيه من خطأ وصواب من كل الوجوه ، والحمد لله رب العالمين ، وذلك في أواخر جمادى الأولى سنة ١٣٢٦ هـ .)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً وصلاة

جاءتنا القصيدة الآتية في ضمن رسالة ونحن في مصر في أوائل هذه السنة (١٣٢٦) من نخبة علماء زوارة وأدبائها منهم الشيخ عربي ابن رمضان أحـــد المنسوبين إلى مدرستنا الموسومين بالذكاء وبعض زملائه الأفاضل النجباء الشيخ علي بن محمد والشيخ السنوسي بن محمد والشيخ أحمد بن قدمور وغيرهم من الفضلاء قالوا حفظهم الله ورعاهم :

البدر في سعد السعود مخيم فضح الكواكب ضلت الجوزاء

ضاءت منازله بساطع نوره بشرى لنا قد زالت البغضاء

ان كنت تجهله وتجهل فضله فهو الذي سارت به الانباء

وهو الذي بالعلم أحيى روضنا حتى ازدهى وازدانت الأنحاء

شهم بحسن سياسة بلغ المنى في رفعة وبنفسه الشـهاء

هو ابن عبد الله دوحته سمت وتفرعت فلتفخر الأبنـاء

بل زهرة الشعب العزيز وفخره فاكرم به وله اليد البيضاء

حزم يصول على الخطوب ببأسه
يحمي حماه إذا دهت دهمـــاء

سيف الصلاح يد السماح بفضله
تترنـــم الشعراء والغرباء

فإذا الشدائد كشرت أنيابها
لذ بالهمام له سنا وعـــلاه

لله من فاق الكرام بجوده
وبحزمه قد غصت النظراء

يا سيداً حاز الفضائل كلها
تاقت لنشر مديحك الأدباء

قدسدت جيلك مثل ماسادت على
أجيالها آباؤك النجبـــاء

جمعوا من الدارين كل فضيلة
فهم الأماجد منهم الأمراء

وهم الذين سمت معارفهم على
نهر المجرة منهم الكرماء

فافخر بسلسلة تواتر ذكرها
بالمجد ولتفخر بها حـــواء

(١) (هذا ومن ينوي جنابك بالأذى
تباً له أضحى وهو هبـــاء)

لا زلت في أوج السعادة راقياً
ومنوراً لعوالم جهـــلاء

أبقاك ربك للمكارم مصدراً
وتجلك الكبراء والأمراء

---

(١) اشارة إلى ما شاع على ألسنة بعض بطرابلس عقب سفري من صدور إرادة سنية في حقي بالمنع من الرجوع إلى الوطن بناء على ما حصل من منـع (الأسد) من دخول الممالك المحروسة ورفض البوسطة قبول جواباتي المسجلة إلى غير ذلك من الأوهام (خيب الله الأراجيف الفاسدة وتجارتها الخاسرة) .

نهدي اليك تحية بك تكتسي
حسناً ومعناها شفا وبهاء

دم في السرور مع الحبور معززاً
والصفح منك على الخديم جزاء

ثم الصلاة على النبي وآله
ما غردت في روضة ورقاء

•

والشيخ عريبي المذكور هو ناظم القصيدة الآتية مخاطباً بها أحد أصدقائه أيام إقامته بالمدرسة يعتذر له فيها عن قطع المكاتبة باشتغاله بما هو بصدده من مطالعة دروسه في (كتاب الايضاح) وابن عقيل والكافي والسلم وغيرهم مما ذكره في القصيدة حيث قال :

جد بالنصيحة يا علي مؤديـــاً
حق الإخوة ناظماً خير المثل

أحي الفؤاد بنثرك المحمود يا
من بالقريض منحتنا أبهى الجمل

جدد لنا عهداً عفا من غير ما
ذنب سوى حب الرياضة والكسل

أهديت عقداً جوهرياً صاغه
(بيدالعناية)(١) منك فكر لا يعل

أظهرت من حسن البلاغة ما به
أنسيتنا شعراء فاقوا في الغزل

إن قلت صل فالوصل أسباب الرضا
قلت اعتذاراً نحن في شغل شغـــل

وبآية الأحزاب(٢) يقنع منصفاً
خل إذا جنح اللسان إلى الجدل

---

(١) عناية الله تعالى .

(٢) كأنه يقصد قوله تعالى: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه .

فالحرب[1] قائمة على قدم فذا (الإ
يضاح) في الميدان يزأر كالبطل

نادى (بالفية) ابن مالك فاكتست بغلائل (الكافي) ونادتنا بهل
هل عندكم فهم سما هل عندكم (أولا)[2] فذا فن الفرائض مبتذل
ذا (سلم) يرقى به لمـــدارج تسمو الغزالة والمجرة والحمل
وأنا المبارز يا علي مجاهداً والنفس طامحة إلى نيل الأمل
فاعذر فمثلي لا يلام لأنني في موقف صعب مضائقه جلل
جد للبروني بالدعا إذ قد غدا للدين في ذا العصر سيفاً لايفل
أحيى بمدرسة نفوساً سامها سوء الاهانة ذو الجهالة والخبل
لله مدرسة تورد روضهـــا فكست جبال نفوسة أبهى الحلل
فيها المعارف أينعت فتدفقت للواردين بسلسبيل كالعسل
من أمها شرب الزلال معطراً ورأى الكمال من الأفاضل ينهمل
الجد فيها ظاهر متواصل حدث عن البحر الخضم ولاتسل
إن رمت صدق مقالنا فاقبل فما راء بمقلته الأمور كمن سأل

---

(١) شبه حاله في دروسه ومطالعاته بحال محارب (وله الحق) .

(٢) أي وإن لم يكن لكم فهم عال تنالون به الفنون الصعبة فاقتصروا على فن الميراث فإنه أسهل تناولاً على رأي بعض وإن وردانه أول علم يفقد « إمـا لصعوبته وإما لاهماله مسايرة للقوانين المحدثة ».

خذها مخلخلة معطرة تفي بالقصد عن إيجاز لفظ لا يمل
أهداكها خل (عريبي) إذا بالوصل ضن فقل له عذر قبل
واحلم (بربك) واعف واصفح راضياً
ودع العتاب الصعب تدرك كالبدل

•

وقال الأديب الفاضل سلالة الجادويين الأخيار صديقنا الشيخ سليمان الجادوي صاحب جريدة (المرشد) بتونس قصيدة في تهنئتي بالبراءة في محاكمة سنة ١٣١٦ وهو إذ ذاك في فساطو وأرسلها إلي لما وصلت مركز المتصرفية (لتقديم الضمانة واليمين) مع الخميس فارساً من أعيان مالكية الرحيبات ونفوسة فساطو الذين جاءوا إلى مركز اللواء لمرافقتي إلى فساطو وأكرمهم أعيان اللواء مدة ٧ أيام إكراماً لم يسبق له نظير نخص بالذكر يوم (القلعة) الذي ذبح فيه لغدائنا ما يزيد عن ٦٠ خروفاً وكان يوماً مشهوداً ونحن هناك أرسل قبائل الزنتان وقبائل بني ريان يطلبون أن نعين لهم يوم توجهنا من (يفرن) ليستقبلونـا في الطريق فقدمنا لهم الشكر ومررنا (في الليل) على حين غفلة منهم أمام مواطنهم ومعنا علاوة على الخمسين فارساً بعض أجلاء أعيان اللواء انتخبوا لذلك . رفضنا ذلك الطلب خوفاً من أن يعد أرباب الأغراض تلك الحركات من نوع المظـاهرة ضد الحكومة فيزيد الطين بلة وخوفاً من حصول بعض وقائع كما يجري كثيراً في مجتمع كهذا تعددت فيه القبائل الكثيرة ذات السلاح المحكم والنفـوس القوية التي طالما أثارتها شرارة من ضغينة عتيقة كامنة في نفس واحد منها وكان ليوم دخولنا (قضاء فساطو)صدى اهتز له ما جاوره من البلاد واستقبلنا الناس على مسافة بعيدة رجالاً وعلى كل ضامر وكان ما يطول شرحـه وقد تلـف بعض أبيات أوجبت الأسف من هذه القصيدة التي ما قرأناها إلا استولى علينا الخجل

وتصبب الجبين عرقاً لتضمنها ما لا يمكننا القيام بأقله من الأوصاف التي لولا واجب الاعتراف بالفضل ومقابلة الحسنة بأمثالها لما تجاسرنا على نشرها :

قال حفظه الله :

أأنس نما أم بحر علم الدفاتر ... طما أم همى غيث الهنا بالبشائر

وفي (يفرن)[1] بدر غدا اليوم لامعاً ... أضاء دياجي الليل من كل عامر

عنيت به صنو الفؤاد الذي غدا ... ولا مين تاجاً عن رؤوس الأكابر

سليمان نجل الذائع الصيت شيخنا ... عبيد الإله قدوة للأواخر

ألا أيها الخل الصديق الذي بدت ... مفاخره مثل النجوم الزواهر

بل العلم النحرير والجهبذ الذي ... له الحجة البيضاء عند التناظر

بل الضيغم المنصور في كل محفل ... بلى بل خطيب فوق المنابر

رفعت على الأقران من كل فرقة ... وكنت فريد الوصف قطب الدوائر

أذقت كؤوس الرعب والخوف حاقداً
وأخمدت جهراً كل غاو ومماكر

قدمت على الأوطان يا علم الهدى ... قدوماً كبدر التم فارتاح خاطري

وضاءت بك الأوطان شرقاً ومغرباً ... وتاهت على الأقطار من كل عامر

تجملت يا قطر العلا بجماله ... وحزت فخاراً فوق كل مكابر

---

(١) جبل بني يفرن هو المعروف في البوسطة والجغرافيا بالجبل الغربي وهو مركز المتصرفية .

تباشرت البلدان وازداد أنسها ... وفاحت بها روض الربى في الأباكر

(فجادو)[1] ديار العز والمجد والعلا ... سمت وتجلت في ثياب المفاخر

فبشرى لكم بشرى ديار نفوسة ... بذالكم الشهم العظيم المآثر

سليمان يا صنو الفؤاد فإن لي ... إليك تباريحاً من الشوق ظاهر

لكم في زوايا القلب مني مكانة ... ولست وأيم الله فيكم بفاتر

ومعها نثر رائق تركنا ذكره هنا .

•

وخاطبني حفظه الله برسالة من تونس ضمنها قصيدة وأنا في القلعة السلطانية بطرابلس قبل صدور العفو الشاهاني وقد بلغه إحضاري للمحاكمة الثانية وما أجراه دولة حافظ باشا (الوالي) وما حصل من الاضطراب مما يطول شرحه . وليست هذه القصيدة بأقل من أختها في ترصيعها بما يوجب خجلنا ،وهي هذه :

يا ابن البروني يا ذا العلم والأدب ... نجل الإمام الهمام الفاخر النسب

يا ألطف الناس أخلاقاً وأكملهم ... حلماً وفضلاً فكم لله من عجب

لنا اشتياق إلى عليك أعظم من ... شوق الحجيج إلى الأبناء والنشب

---

(١)هي مركز قضاء فساطو وهي مسقط رأسنا وإلى المدينة القديمة المذكورة في التواريخ المسماة هذه باسمها يرجع نسب الناظم حفظه الله إذ هناك منبت شجرة الجادويين العلمية وما انتقل البعض منهم إلى جهات تونس إلا لحوادث زمانية لم تمنعهم الآن من مواصلة ذويهم وزيارة آثار أجدادهم الأولين رحمهم الله.

قد ساءنا سرنا ما أنت تحمله ذاك التفات فلا تجزع ولا تهب

إنا عهدناك شهماً سيداً بطلاً مهنداً أسداً سمحاً لدى الطلب

ذا همة مصلحاً ذا عفة شهرت تسمو مآثرك الغرا سما الشهب

أجدادك الغر في العصر القديم علوا فافخر بأصل شهير المجد في الكتب

فيهم أمير وفيهم عالم وبهم [1] أسد وذو المال منهم حاتم العرب

وكيف لا ونرى التاريخ مجدهم في كل عصر وهل للبدر من حجب

دار الخلافة قد أولتك مكرمة والجاهلون بأهل الفضل في تعب

حاشا لهمتك العليا يدنسها [2] أقوال من شأنه التنقيص بالذهب

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وقد يرى النور ناراً حامل الحطب

وهاكها حرة خوداً محجلة كالشمس بازغة في منزل الأدب

فأجبته بقولي :

لله درك يا ابن الجادوي فما أوفاك خلاً وما أدراك بالأدب

---

(١) يشير إلى من ذكرناهم من بعض أسلافنا في رسالتنا (مرآة العيون) في تحقيق وذكر نسب بعض أفاضل بني بارون .

(٢) يشير إلى ما وشي به في حقنا أخيراً إلى دار السعادة حتى صدرت الأوامر بنقض الحكم ببراءتنا في المحاكمة الأولى وعزل أعضاء مجلس الاستئناف الحاميين بالبراءة انتصاراً للحق وحفظاً لشرف المنصب والعدل لا محاباة لنا أو انتفاعاً كما قيل (جازاهم الله بخير) .

أهديت عقداً غريب النظم لؤلؤه من منطق صيغ من مستعذب العرب

حل السرور بنا مذ جاءنا فغدا سحبان في خجل حسان في عجب

إني أقدم شكري بالقريظ ولا أبوح عجزاً بما ألقاه من طرب

•

عزمت في أواخر جمادى الثاني سنة (١٣٢٥) على زيارة الوطن وبعد (أن أزف الترحل كما قيل) :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا

وكان قد فاجأني ما صدني عن ذلك فلويت العنان إلى مدينة الجزائر على طريق مرسيليا للسياحة فلاقيت كل رحب واحترام من إخواني الجزائريين مطلقاً؛ خصوصاً بني ميزاب قابضي غالب أزمة التجارة هناك، وفي أثناء السياحة نزلت بمدينة « برج أبي عريريج » ولم أقم فيها إلا قليلاً — المدة التي بين وصول القطار الحديدي وسفر العربات الشبيهة بالسوارس في مصر — اجتمعت في أثنائها بذلك الشاعر الجليل المشهور في المغرب الشيخ عاشور وسليته ارتجالاً بأبيات على ما أصيب به من الاضطهاد والنفي كما تقدم ، ولما بلغ الخبر بعد ذلك أعيانها وجهوا اللوم إلى الفاضل الذي تلقاني بكل إجلال وعاتبوه بكتمان حضوري ثم طلبوا مني بمكاتبة في نهاية اللطف أن أجعل مدينتهم طريقاً عند رجوعي من الصحراء للذهاب إلى تونس فلبيت دعوتهم وقصدتها من الجزائر على سكة الحديد الليلية ومعي شقيقي الفاضل فاستقبلنا في المحطة (الاقار) جماعة وكان الثلج يتساقط بكثرة والبرد شديد جداً وإذا بالشيخ عاشور في مقدمتهم وبعد أن استرحنا وانتهت عبارات السلام وتناولنا ما حضر من الشأي وغيره من المسخنات الواقية من سم ذلك البرد القارس وحلا المجلس قدم كاتبه إلي هذه القصيدة التي كاد يتجاوز فيها من الأوصاف حد الأوصاف الجادوية والزوارية (القاضية علينا

بالخجل) ومعها نثر رائق ذكرناه في الرحـــلة . قال حفظه الله وجازاه عن الأدب والاخوة خيراً :

الحق أجدر أن يقـال ويحتمل ... وجحوده حسداً لأهليه خبل
ما كنت أعهد أن أرى في ذا الثرى ... أعجوبة في العلم ايه والعمل
حتى بدا العلم (الاباضي) من به ... فخرت (جبال نفوسة) كل العمل
علماً وخلقاً كالنسيم لطافـــة ... وهدى سليمان البروني الأجل
ما زلت أسمع أنه طود المع ... ارف والعوارف والتصاريف الطول
حتى إذا هم قصروا أو أقصروا ... في حقه إما لجهل أو دغـل
ملك اليراعة والبراعـة والفصـ ... ـاحة والبلاغة ملك عقد لا يحل
تحجو إذا كتب اليراعة حيـــة ... تسعى بدون روية لا تعتقـل
وإذا تكلم خلت ماء سائحـــاً ... متحدراً عذباً فراتاً كالعسل
فكأن مغناطيس كل عبـــارة ... وإشارة تسبي النهى فيه انفعل
بالود لو طـالعت ديواناً[1] له ... كلماتـه درر على غيد الحجل
أبيـــاته حكم وأحكام علا ... وسطوره غرر يسير بهـا المثل
لو جـال فيه مفلقون لحققوا ... معنى قضية وليقس ما لم يقل

(١) يشير إلى ما اطلع عليه من بعض نظمنا الكاسد الذي لولا إخلاصه الود وحسن ظنه ما حمل الكل على البعض وقال : ولا ألبس الرصاص من العسجد حلة التعظيم والإجلال (حقق الله الفال ، وأصلح الحال).

بل لو رأيت له عباب (جريدة)[1] ... تركت جوائب فارس مثل الوشل
لرأيت قساً يخطب العرب المص ... اقع والبواقع في عكاظ على جمل
قلب بطرفك بين تاريخ له[2] ... في ملك (تيهرت) الذي بهر الدول
عدلاً على علم وزهـــد باذخ ... من آل رستم قف عليه تقل أجل
فكأنهم وكأنهـا وكأنـه ... كنز بطلسمة فأظهره سبـــل
كنا نرى مثل ابن خلدون خلا ... فإذا الأواخر كم لها ترك الأول
عجباً لبرج أبي عريريج[3] الذي ... آوى سليمان البروني الجبل
لكن مكة وقت موسمها تفي ... ما لا تفي بأقله مهما انفصل
أصلت بل فصلت بل حصلت بل ... وصلت فافخر يا بروني لا تبل

(١) يشير إلى جريدتنا « الأسد الإسلامي » الذي ما ظهرت منه ثلاثـــة أعداد حتى احتجب لأمور لم تكن في الحساب (حوّل الله الأحوال إلى أحسن حال) .

(٢) يشير إلى الجزء الثاني من تاريخنا « الأزهار الرياضية » الذي اقتضى الحال أن يظهر ويطبع والأول في زوايا الكتمان والثـالث لا يتم جمعه إلا إذا سادت العافية ونودي بالأمان (ولله في ملكه تصرف خفي وشان).

(٣) مدينة صغيرة من أعمال الجزائر حديثة العهد جلبت إليها فرنسا عين ماء قوية فهي أغنى ما رأيته من تلك المدن ماء على ما يظهر لي لمـــا رأيته من تدفق « الحنفيات » في المحلات والشوارع كل وقت بدون حساب « ولنـا في الرحلة كلام عليها » .

خذها جزاء خريدة لك عندنا غيداء ترفل في أفانين الحلل
ما قال منشدنا مديحك كامل الحق أجدر أن يقال ويحتمل

•

قال الأديب الفاضل الحسيب ذو العز محمد بك النائب الطرابلسي القصيدة الآتية وهو قائمقام في فساطو مادحاً والدي حفظهما الله ومقرظاً رسالة أرسلها إليه وهو في مركز اللواء حافلة بالمراشد حرضه فيها على التمسك بالعدل والأخذ بالاوسط من الأمور مع المحافظة على حقوق الدولة والرفق بالضعفاء :

أتاني كتاب اللوذعي فحياني وذكرني عهداً قديماً وأحياني
وجدد أنساً زاهر الروض طالما على غصنه غنى الحمام فهناني
وأكد وداً واتصالاً بوصله ومن نظمه سبك الحريري أنساني
حوى حكماً منظومة ببلاغة ومن سرها المكنون ربي أغناني
لأنت عبيد الله في الدهر غرة حميد السجايا في المواعظ رباني
كتابك بستان الحقائق أشرقت على روضه شمس الرضاء فرباني
فيا حبذا تلك الرياض وحبذا مرصعها درراً بحكمة لقمان
حملت علوماً يعجز المرء حصرها فأقررت من منثورها عين إنساني
أراك على طول المدى ترشد الورى وتدعو إلى نهج السعادة إخواني
فدم محيياً آثار قوم تقدموا وسدد ولا تغفل فما لك من ثاني
أيا مرشد لا زلت ناصح أمة مرغبها في ترك منصرم فاني

تحببنا في كل فضل وطاعة تنبهنا عن كل غاوٍ وشيطان
تؤم بنا سبل النجاح ونهجه تحذرنا من كل ظلم وعصيان
تبصرنا للخير في كل مجمع تنفرنا من كل غي وكفران
جزاك إله العرش عنا كرامة ورحمته العظمى وواسع غفران
ومتعنا المولى بطول حياتكم ووفقنا المرفق بالقاصي والداني

•

وقال الفهامة الأديب الشاب الظريف الشيخ محمد [1] الشريف المغربي الشنقيطي حال حلوله بقطر طرابلس ذاهباً إلى الحج وقد وافق حضوره براءتي في المحاكمة الأولى وصدور العفو الشاهاني في المحاكمة الثانية وشاهد بعض ما حصل من المظاهرات لذلك . هذه الأبيات ضمن رسالة يهنىء بها والدي حفظهما الله .

عبد الإله إمام أهل زمانه لكم الهناء بقادم بمناقب
أعيت محاسنه بلاغة مفصح نطقت فصاحته بقول صائب
حاز العلوم وصاغها عن عالم بنجابة وسناء فهم ثاقب
جمع الفنون وزانها بفراسة ضبط الأصول وشابها بغرائب
فتراه في كل المعارف عارفاً وإلى ضعيف القول ليس بذاهب

---

(١) الشيخ أحمد الشريف الشنقيطي المغربي .

ولدي النضال تراه سيفاً قاطعاً يسمو لدى التحرير أسمى كاتب
راعت قلوب راعها منه الهدى فرمت مناطقها بطين لازب

•

وللعلامة الأديب كريم الشيم الشيخ محمود فوزي الشامي قاضي محكمة قضاء فساطو القصيدة الآتية يهنىء فيها والدي حفظهما الله بقدومه من مركز المتصرفية وكان هذا الفاضل على جانب عظيم من العفة والمحافظة على حقوق العباد . قال حفظه الله : هذه قصيدة الابتكار ، قد زفتها إليك عرائس الأفكار ، تهنيك بالقدوم السعيد ، حماني الله وإياك من شر الوعيد :

أهلاً بكم يا كرام الحي والنادي أحييتم بلقاكم قلبي الصادي
ومرحباً مرحباً حل السرور بنا وقد طفى نار شوق ذات إيقاد
« أهلاً بكم طال شوقي يا كرام لكم والوجد أحرق أحشائي وأكبادي
يا عين قري فأنوار الحبيب بدت وزال ما كان من بيني وإبعادي
يا صاح فاجمع شتات الفكر ممتدحاً أقمار أفق المعالي خير أمجاد
خلاصة العصر أهل الفضل من ورثوا
هدي النبي ختام الأنبيا الهادي
أعني الكرام (بني البارون) دام لهم في الناس ذكر بسادات وأطواد
وبالخصوص (عبيد الله) سيدنا ذا المنهل العذب للصادي وللغادي
عن لطفه نسمات البان مخبرة عن فضله حدث الراوي بإسناد

حوى من الزهد أعلاه وأكمله إرثاً عن الأهل ابدالي وأوتادي
والله منّ على هذا الشتيت به حين غدا مدحه ذكري وأورادي
دامت على أبد الأيام طلعته تضيء في خير أوقات كاعياد
واقبل ركيك نظام قد سعى خجلاً لباب فضلك يرجو حسن إمداد
مقول محمود فوزي من بحبكم يبدي الثنا عنكمُ في أيما نادي

•

وللعلامة الجليل الشيخ سعيد بك الشماخي وكيل الدولة التونسية سابقاً بمصر خطاباً لوالدي :

ومحجوبة قد أقبلت تترنح تريك دلالها إذا تتوشح
دلال تغنج وعجب تمدن ودعلجة تسبي العقول وتجرح
اباضية لا تمنح الغر وصلها مهفهفة ترنو وتدنو وتسمح
نفوسية خرعوبة (بارونية) خدلجة غيداء عيطاء دردح
عروب إذا ما رامها كفؤ لها (عبيدية) تحيي النفوس وتشرح
أتتني تشير بالوصال وطالما أقول صليني يا حبيبة تجنح
إلى الهجر لا ترضى الوصال كأنها رأت كفؤاً غيري أرق وأملح
أما ومواضي مقلتيها النواصل لأني بها أحرى وإن هي تجمح

فإن أباها صنو قلبي ومهجتي
يدي عضدي روحي إذا الخطب يقدح

سميري زماناً كنت فيه منعماً بمصر وبرق الود بالوصل يلمح
نديمي وروض العيش غض وناضر خليلي وصبح الأنس أبلج أفصح
فكم كاعب زرنا وبتنا نعانق بدور معان لا نكوع شفلح
يطولون طوراً نقتطف زهر ديننا وأكام روض نوره يتفتح
(وبالأزهر) المعمور طوراً نحاول كنوز معان السعد تأبى فننجح
وبالمنيل الزاهي الحدائق تارة على غصنها يشدو الحمام ويصدح
ترانا وإخوان الصفا كلما بدا نسيم الصبا نغدو نجول ونمرح
ألا حبذا عصراً مضى ولياليا عرائس أنس فاح منها المرنح
إذا غنت الورقاء في روض أنسنا طربنا إذا الخل الصفي المصحصح
أبو زكريا الشهم جاد بوصله وأحيى (ابن يحيى) ربع قوم قد أفلح
أبو المجد سباق الأماجد في العلا رقيق حواشي الطبع در منقح
سليل المعالي وابن بجدتها الذي له همم تنبي عليه وتفصح
من النفر الغر الذين وجوههم مصابيح في الظلماء بل هي أصبح
فتى حبه في العلم صباً ويافعاً ذكي أديب ألمعيّ ممرح
كسى الجبل الغربي أحسن حلة (وجادو) به تجلو وتزهو وتفرح

وقلد جيل الدين فيها فرائداً وقد كان قبل عاطلاً يتروح
ألا يابن يحيى إن حبك مغرم بحبك وهو لا يزال يمحمح
حملت علوم الراشدين أولي الهدى
فنادتك (جادو) بل (ومزّو) ومصطح

فلبيت إذ نادتك فضلاً ورحمة وأحييتها علماً بك اليوم تمرح
و(يفرن) لا تبخل عليهم وإن همُ عموا وصموا فالجهل عم ويقبح
(أبو ساكن) جدي أناخ بأرضها فارشد أهلها وفيها المشحشح
(أبو حاتم) الملزوز فيها إمامنا يزار وإن غص الغبي الزلنفح
وحقباً أقمت (بالقصير) ووالدي نجدد ما عفا ونرفو ونصلح
ولما قضى الرحمن بالظعن حفها زخارف قوم هي للنفس جلبح
رغا السيف فيهم مذ رحلنا وطالما أحاول نفسي بالرجوع وأكدح
فيمنعني العوصاء والمعضل الذي به اليوم صرت تاجراً أترنح
ونفسي لعمر الله ترغب (يفرنا)

(وجادو) ومزو (والجزيرة) رحرح

وسيري لهاتيك البلاد وحيها وحي يليه حيها سير مذوح
بلاد ثوت فيها كرام أغرة نجوم الهدى شمس وقطب ومجدح
بلاد بها أهلي وأمي ووالدي وصحبي وجنسي والنديم المبرح

إليك (عبيدالله) أعني فإن لي ... إليك تباريحاً من الشوق تقدح

أرى كل مدح غير مدحك ضائعاً ... وكل مديح ينتحيك مصحح

فإن أبا (الشعثاء) لو كان حاضراً ... لأثنى عليك (والربيع) (وأفلح)

عليك من (الشماخي) أسنى تحية ... تخصك والطلاب إن هم قد أفلح

وداموا وجدوا في العلوم وجددوا ... معالم نهج الحق والحق أوضح

وصلّ على المختار ما قال منشد ... ومحجوبة قـــد أقبلت تترنح

تهاني الدستور

ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يبدل الله من حال إلى حـــال

ما مضى فات ... وما بالعهد من قدم

(مضى زمان) على الأمة العثمانية تلك الأمـــة العظيمة الشأن ، الواسعة الأركان ، المتينة البنيان ، كانت فيه في سبات عميق لا تحرك ساكناً ، ولا تبدي رأياً ، شهمها ذليل ، وحسامها كليل ، وعالمها مصادر ، وحاكمها مكابر ، وسياسيها مكبل اللسان ، ومحررها مقيد البنان ، لا نهي إلا كما يراد ، ولا أمر ولا إرشاد ، يتهم بالخيانة الصادق البريء ، ويكافأ الكذوب الخائن الجريء ، تحسب من الوجيه الحبة فيه ، وتعد من المرشد المصلح كلمة الإصلاح سبه ، يرعد المراقب بكلمة في كتاب ، وتبرق المحاكم للفظة في جواب ، حتى إذ أذن الله بفك تلك الأغلال ، وفتح هاتيك الأقفال ، وتحويل الملك ، من حال إلى حـــال ، ألح أبطال ذلك الجيش المظفر في الطلب ، فأصبحنا في ليلة على حين غفلة وقد منحنا الدستور من سلطاننا المعظم بدون تعب ، وأذن المؤذنون بحي على الأمان ، وعفـــا الله عما سلف وكان ، فكان أسعد صبح على الأمة خصوصاً المسجونين ، وأهنأ يوم على

المنفيين ، فكم من جليل كان مقيداً بالسلاسل والأغلال يتمنى الموت ، وكم من مترف كان تحت أطباق الأرض وفي أعماق السجون لا يجد ما يسد به رمقه من القوت ، والكل على جمر الإهانة والعذاب جالسون ، ومن النجاة والعود إلى ما كانوا عليه آيسون ، وها هم الآن قد أصبحوا وأصبح الملك لله في أوطانهم يتبخترون ، وبالآية الشريفة يترنمون ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ فسبحان من بيده الملك والملكوت ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، أصبح في لحظة واحدة الشيخ أبو الهدى أمام السلطان وشيعته من الوزراء فقراء مقيدين ممقوتين ، وصباح الدين بك المغضوب عليه وأمثاله المطرودون من السعداء المقربين .

فما بعد هذا الانقلاب السريع الغريب من عجب ، ولا معنى لليأس بعد هذا من كل ما يأتي بالالحاح في الطلب (آلى) الجيش المقدوني المظفر بأعظم يمين ، ونادى أبطاله الأسود على رؤوس الجبال باعلان الدستور الثمين ، فقال مولانا السلطان المعظم ملبياً (ذلك ما كنت أبغي وما أنا عن صاحب الحق بضنين) ، فبلغت رنة الأفراح إلى عليين ، وأصبح رؤساء الأحزاب والأديان متعارفين ، وقواد عصابات الثورة مستسلمين ، والضعفاء آمنين مطمئنين ، لا مشاجرة ولا قتال ، ولا نهب ولا اختلال ، هناك اعتراف العالم بأسره بما ينسب لهذا الجيش الحكيم ، ولذلك السلطان المحنك من الدهاء العظيم ، فكم من دم كان في النية سفكه قد حقن ، وكم من ضعيف كان مهدد الحياة أمن ، فهو الذي ينطبق عليه أنه الساعي في سعادة الدولة ، ورقي الأمة ، وإلا (فماذا يضره) لو قال: (لا أمنحه) وحوله ممن يجيب نداءه في مشارق الأرض ومغاربها من جنود وأمم ما لا يحصى عدداً وكلهم يفضل الموت في سبيل نصرته على الحياة الدائمة (فماذا) وصل إلى (القيصر)والملايين يحصد بعضها رءوس بعض (وماذا) أدرك (شاه العجم) من الضرر في خاصة نفسه إذ قال (لا) فأصبحت الأمة والجيش قسمين تستغيث الأرض من فظائعها ، وتستجير السماء من زلازلها (فلمولانا السلطان

المعظم الغازي عبد الحميد خان مانح الدستور حقناً لـلدماء في يوم ٢٤ يوليو ١٩٠٨ (وفي إمكانه المماطلة) كل فخر وفضل، (فليعش مع ذلك الجيش المظفر الباسل وضباطه الأبطال في أمن ووئام وسلام) والأمل وطيد في تنظيم الشؤون بطريقة لا تؤول إلى نبذ الاسلام ظهرياً أو تؤذن بإهانة الدين المبين ، فنصبح والناقم أكثر من الراضي والفساد أعظم من الإصلاح (وهنالك الطامة الكبرى وسوء المنقلب) (لا قدر الله) ، على أننا لا نباغت (حزب الإصلاح) الآن بانكار شيء مما يقتضيه هذا المقام الحرج والموقف الخطير من التساهل في بعض الشؤون الموصلة إلى مآرب جليلة قولاً أو فعلاً فإن الشرع العزيز صرح بوجوب ارتكاب أخف الضررين حيث لا محيد عنه ونسأل الله حسن المآل. (هذا) وقد أقيمت الأفراح والاحتفالات استبشاراً بالدستور في جميع انحاء الممالك العثمانية في ذلك اليوم وكررت ذلك يوم عيد (الجلوس الشاهاني) الذي أقيم فيه في (المدينة المنورة) رسم الاحتفال بوصول (السكة الحديدية) الحجازية وقد عودت نفسي أن لا أهمل نصيبي في مثل هذا الميدان ، فخطبت في جمعية الشبيبة المصرية بالمدرسة التحضيرية خطبة افتتحتها بهذه الأبيات الثلاثة :

(يحيى المليك مع الدستور) فافتخروا
يا أمة المجد إذ فازت مساعينا
وسددوا الرأي بالتدبير واتحدوا
في أيما موضع كنتم ولو « فينا » [1]
فليس صورة (دستور) منمقة
إن لم نر الجد في الاصلاح تغنينا

---

(١) من المدن الشهيرة في أوروبا .

ثم قلتُ في آخر الخطبة هذه الأبيات :

(عبدالحميد) منحت اليوم أمتنا فخراً عظيماً به الدنيا تهنينا
منحتنا نعمةالدستور فانشرحت[1] منا الصدور وقد صحت أمانينا

---

(١) عند تلاوتي هذا البيت قام فاضل (كان خطب قبلي) فأشار إلى أنه لم يعط مولانا السلطان الدستور إلا حذراً مما أحاط به من الخطر ومحافظة على حياته من جمعية الأحرار وأنه لا فضل له قطعاً فأدى ذلك إلى بعض مناقشة بيننا انتهت بسلام وقد اغتر كثيرون بمثل هذا الكلام فاعتادوا الدعاء للدستور والحرية ونسوا فضل مانح تلك الحرية وذلك الدستور وجهلوا أن عقلاء الأحرار الحقيقيين أنفسهم لم ينكروا فضله في هذا التساهل في إجابة طلبهم ولا زالوا يعترفون له بالسيادة والجميل واليك صورة التلغراف الذي أرسلته جمعيتهم المحترمة (جمعية الاتحاد والترقي العثمانية) نقلاً عن جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ٢٠ رجب سنة ١٣٢٦ الموافق ٢٧ أغسطس سنة ١٩٠٨ فتأمله لتدرك منه ما بين جلالته وبين جمعية الاحرار من الولاء والاخلاص قال :

الحضرة السلطانية وجمعية الاتحاد والترقي العثمانية

رفعت هذه الجمعية على جناح البرق عريضة إلى السدة السلطانية وأدرجتها في جريدة « الاتحاد والترقي » وهذا تعريبها بالحرف :

إن جمعية الاتحاد والترقي العثمانية إنما تألفت لتزيل تحت حماية جلالتكم الضعف الذي عرض على ملك سلطنتكم الموروث ولترفع شأن وسطوة خلافتكم إلى الدرجة اللائقة . ولتؤمن للأمة العثمانية النجيبة سعادتها ورفاهيتها بصورة تناسب علوّ همتها وكرم أخلاقها. وغايتها من ذلك كله بذل كل عزيز وغال في =

منحت عدلاً وفضلاً أمة فقدت رقيها فأتى الدستور يحيينا
فككت قيداً شديد العقد فاندهشت لحله « دول » كانت تعادينا
شفيت داء رآه الناس علتنا فأصبح الشهم منا ظاهراً فينا
وأصبح الحر محلول العقال وقد أمسيت خير مليك يا مربينا

= تأييد الذات الشاهانية المشتهرة بالعدالة وإعلاء شأن الأمة وشأوها فلهذا ترى من واجب الصداقة والاخلاص أن تعرض شكرها وعبوديتها على صاحب الخلافة العظمى على ما نالته من ألطافه السنية وعواطفه الملوكية وتتجاسر أن تعرض على سدته السلطانية باسم عموم أفرادها الشكر على ما نالته من حماية واعتماد وثقة جلالتكم . وكل فرد من أفراد الجمعية يعلم أن ذلك أكبر شرف له ويتباهى ويفتخر بما سيخلد لجلالتكم في صحائف التاريخ بل في قلوب الأمة من الشأن والشرف مما تحرزونه من التوفيقات الحسنة الخيرية . ونضرع إلى الحق جل جلاله أن يطيل عمر وشوكة خلافتكم مدى الدوران آمين (تعريب الجواب).

(إلى المركز العمومي الداخلي لجمعية الاتحاد والترقي في سلانيك ٢٥ تموز عن ما بين همايون).

انه بحسب منطوق وأمر الحضرة العلية السلطانية أبادر لتبشيركم بأن ما عرضتموه وأظهرتموه في تلغرافكم المؤرخ في ٢٥ تموز من الاحساسات العالية والصادقة ومن الشكر والممنونية للحضرة السلطانية قد استلزم محظوظية صاحب الخلافة العظمى .

(الكاتب الثاني للحضرة السلطانية)
علي جودت

فدم حميداً بك الآمال واثقة ويرحم الله عبداً قال آمينا

•

ثم أقامت (جمعية الفحامين) المؤلفة من كبار التجار من أفاضل المغاربة والمصريين احتفالاً باهراً ليلة الجلوس السلطاني ودعتني باسم رئيس الخطابة فيها فأجبت وبعد خطبة مناسبة للمقام ختمت المحفل بعد انتهاء ما جاد بـه أفاضل الخطباء المجيدين من الخطب الجليلة بهذه القصيدة :

عيد سعيد ورب النون والقـــلم
في الشرق والغرب هذا اليوم كالعلم
فيه ارتقى بالرضا عبد الحميد على عرش الخلافـة محموداً بكل فم
أبدى بحكمة لقمان مآثر لم تخطر على ملك في سالف الأمم
أحيى المعـارف لاستعداد أمتنا لخوض بحر عميق اللج ملتطم
واستعمل الحزم في إنشاء مأثرة (خط الحجاز) الذي أنهاه للحرم
فكان فتحـــاً تجارياً يؤول إلى فتحين ديناً وحرباً غير منهزم
فاليوم يوم احتفال في (المدينة) لم يسبق نظير له في الشان والعظم
وهكذا منح (الدستور) أمتنا سهلاً بدون ارتباك فيه سفك دم
لو قال (لا) كانت الآفاق مظلمة وارتج صرح الهنا والأمن والسلم
قد قال في الشرق (شاه الفرس لا) عبثاً
فاصبـح الملـك بعد العز في ضرم
أبحر إليها وأرخ من فظائعها وابك الدما أسفاً عن قادة العجم

قد شرحوا وغدوا طعم الكلاب وهم
من عنصر شهروا بالحزم والهمم
اسمع زلازل (تبريز) وقد خسفت
(بالبرلمان) وسال الروح كالديم
لا تشرق الشمس إلا في صواعقهـا
يا تعس ملك به (الدستور) لم يدم
اعطف شمالك نحو (الروس) تلق بها
أرضاً مخضبـــة مهتوكة الحرم
سل طرق (باريس) وابحث في وقائعها
تلق الخراب وحصد الروس كالغنم
ما ضر سلطاننا لو قال (لا) فغدا
سيفان في الجيش مسلولان والأكم
حزب يقاتل حزباً والشقاق إذا
ما اشتد أضحى ضعيف الناس في نقم
فهو المليك الذي ترجى السعادة في
أيامه (فليعش) للملك كالعـــلم
و (ليحي جيش) لواء النصر توجه
ذاك المؤذن بالدستور في الاطـم
نلنـاه سهلاً ولكن موقف حرج
أمامنا فلنحاذر موجب النـــدم
...

(يا مصر) سوف توافيك البشائر بالـ
ـدستور فاستمطري من مصدر النعم
لكن مساعدة للوقت فاتئـــدي
كي تفلحي وبحبل الله فاعتصمي
عضوٌ عظيم لهـــذا الملك أنت فما
تلك (الوفود) التي في ساحـة الصنم
هل عاد عصر أبي الأهرام أم فتحت
في الغرب جنة عدن الشرق من إرم
ما كان والله ذا لكن قد انتشرت
في الشعب فوضى فضاعت حكمة الذمم
كل يؤسس حزبـــاً كي يكون له
رأساً فنصبح والأعضاء في سقم

...

رفقاً بمصر رجال القول انكُم مزقتم الشمل بالأحزاب والقلم
خلوا التسابق للأغراض واتحدوا قولاً وفعلاً وجلوا منبع الحكم
في (تركيا) أسوة والله ما نجحوا
لو كانوا حزبين في شيء من أمرهم
لو كان في الأرض رب والسماء بها
رب لأصبح هذا الكون في عـدم

حزب وحزب وحزب صحفت فغدت
(حرباً) فمن لصلاح الأمر بالسلم

•

وقلت على لسان الدستور :

(يا فتاة) الشرق غني اضربي العود وحني [1]
واسمحي بالقرب مني لاحتفال بي فاني
(أنا دستور) المعـالي أنا ترس للقتـــال
أنا محو الاحتلال آل عثمان فهني
(يا فتاة) الشرق شكرا نالت الأمـــة فخرا
فغدا العثماني حرا راقياً لا بتاني
(ينشر) الأفكار جهراً يورث الأعداء قهرا
يبـذل الأنفس مهرا فبـــه اليوم فغني
(يا فتاة) الشرق أهلا زدت بالدستور فضلا
هابك الغرب فهلا بلغـوا ذاك التمـني
(وقفوا) اليوم حيارى علموا الدستور نارا
وهو سيف لا يجارى فليمت حزب التدني

---

(١) أي اطرابي .

(يا فتاة) الشرق حاجي حان وقت الازدواج
والتراءي والتناجي عن يقين لا بظن
(نلت) يا بشراك سعدا عادت الأمة فردا
واكتسى الأحرار بردا بي أنا الدستور اني
(أنا) أحيي الشعب حالا أملأ الصندوق مالا
بي يكونون رجالا فخذي التحقيق مني
(أنا) جماع القلوب أنا دفاع الكروب
بي إصلاح الشعوب فاسألي إن شئت عني
اسألي (باريس) ماذا نالها مني وماذ
(ناله) (اليابان) هذا إذ محا (الروس) كجن
يا فتاة الشرق هزي راية النصر وجزي
هامة الأعدا وفزي وامرحي في كل فن
(غير) فن الاعوجاج ومدار الارتجاج
فاحذري كل اختلاج واهجري الشرب بدن
(يا فتاة) الفرس مدي معصم الجد وجدي
حاججي الشاه بجد كي يواتيك التجني
(لم ينل) قصداً ذليل لم يفد عضو عليل
هل حمى سيف كليل فالعلا لا بالتمني

ويك قد مدت يداها (مصر) واشتد فتاها
سوف يأتيها مناها جاء (عباس) فهني
هي يا باروني هيا زر إلى الأوطان بيا
شعبنا قد عاد حيا يطعن الأعدا بسن
أسد الإسلام أظهر كلما في البال وابشر
بالمنى هلل وكبر زال ذاك الداء مني
(إذ زمان) الضيق ولى وهلال السعد هلا
وصباح النصر جلا (يا فتاة الشرق غني)
(يا فتاة) الشرق حيي زهرة الشعب السني
بنشيد مغربي واطربيهم بالتثني

بسم الله الرحمن الرحيم

التقاريظ

جاءتنا من أفاضل الأدباء جملة تقاريظ اخترنامنها ما سيأتي مرتباً على أحرف الهجاء تبرءاً من وصمة ملام التقديم والتأخير .

سعادة الشهم كريم إسماعيل باشا صبري وكيل الحقانية سابقاً بمصر .

رأى سعادته أن خدمة الأدب مما توجبه الانسانية على أربابه (ولا يعرف الفضل إلا ذووه) فلم يترفع حفظه الله (نظراً لمقامه السامي مادياً وأدبياً) عن أن يقلدهذا الديوان عقداً من لآلىء نظمه الثمين فأهداناهذين البيتين وهومشكور :

يا أفصح الفصحاء غير معارض يا أبلغ البلغاء يا (باروني)
إن يدع الشعراء شأوك قل لهم هذا المجال وهـا أنا باروني

●

إمام أفندي العبد الشاعر المشهور :

قد أهدانا هذا الشاعر الجليل نابغة عصره الذي يحق له أن يعرف بإمام الشعراء هذا التقريظ الفاخر فله منا كل شكر. قال الشاعر الكبير الأستاذ المحترم :

سبائك تبر أم سبائك أشعار وأزهار روض أم أزاهير أفكار
منى النفس في تلك المعاني لأنها نسيم سرى في ليله ذات أنوار
ملكت به الألباب وهي سوارح وأسقيتنا منه عصارة خمـار
بلغت به شأواً يعز على الألى قصائدهم تاهت على شعر مهيار
فلو كنت في عهد النواسي لاشترى على العلم منه كل حرف بدينار[1]
أمير المعاني والمعاني أوانس
إذا أسفرت أغنت عن القمر الساري

---

(١) لله دره ما أشد احتراسه وحذره من الغلو السهل عند غالب الشعراء ولو قصده لقال «بقنطار» ولا أرى إلا أنها أسبق إلى ذهنه لكثرة استعمالهـا في الموازين الآن بخلاف الدينار على أنني قد أقسمت عليه أن لا يذهب في التقريظ مذهب المحاباة أو جبر الخاطر حتى لا ينعكس الحال إذ من المعلوم أن مـدح الشيء بما ليس فيه ذم وقد أدركني الشك عند سرد الأبيات الأولى ولما وقفت على هذا البيت تحققت أنه ما قال إلا ما اعتقد أو قريباً منه ولو شاء مجـاوزة الحد لما صعب عليه أن يقول مثلاً :

(فلو كان في عهد الخليل بن أحمد لقوم أس الخط منه بقنطار)

إذ لا شك أن أس الخط هو النقطة فعلى قوله تكون مثلاً قيمة الكاف كلهـا ديناراً واحداً أما على هذا القول فتكون على الأقل خمسين قنطاراً لأنها مركبة من أربعة خطوط هكذا « ك » وكل خط مركب من نقط كثيرة وهكذا الهاء والطاء ولام الألف ولا شك أن ما يقوم بدرهم في عصر الخليل امام العروض يكون أعلى شأناً مما يقوم في عصر أبي نواس بدينار فانظر الفرق وادرك الصدق.

طلعت لنا في الشرق من مطلع الهدى[1]
فيا حسن أشعار ويا طيب أخبار

•

عزتلو ابراهيم بك العرب الشاعر المجيد بالاسكندرية تفضل علينا هذا الشاعر المفلق الجليل فأهدانا من جواهر نظمه هذه الأبيات العالية «وله الفضل» قال

---

(١) كنت استربت القضية وقلت من المخاطب ياترى بهذا ولعله على ما يقال «هي بن بي» إذ لا اسم ولا كنية ولا لقب ولا إشارة وإذ بلغت ها هنا علمت أن المخاطب مغربي جاء إلى المشرق «فقلت لعلي أنا المراد» ولكن ما معنى كون المغرب «مطلع الهدى» مع أن الشرق مهبط الوحي ومدفن الأنبياء ومطلع النيرين بحسب الظاهر ومنبع الرسالة ومقر البيت الحرام منذ خلقه الله ومركز الخلافة في غالب الأوقات ومنبع الحركة الإسلامية الحية الآن.

فهل يمكن أن يقصد بذلك الإشارة إلى الإمام المهدي المنوه بذكر ظهوره في بعض الروايات من المغرب «ذلك ممكن» لكنه فكرة بعيدة فإن الرجل كثير الاجتماع مع من لا يرى كثيراً مما يقال من مثل هذا. فلا يأجوج ولا سد ولا عوج ولا. ولا. على الأوصاف المشهورة ولا مهدي إلا عيسى «وإن شئت ولا عيسى بعد خاتم الرسالة» ولعله يشير إلى الحديث القائل ببقاء طائفة في المغرب قائمة بالحق إلى قيام الساعة أو يشير إلى قوله تعالى «وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر» بناء على أن السير الحقيقي للكواكب السيارة ومنها الشمس والقمر إنما هو من المغرب إلى المشرق فيصدق عليه أنه مطلع ما يهتدى به وهذا أقرب ما أراه مقصوداً له فليختر حفظه الله عند الاطلاع على كلامنا ما يحلو له فلا محذور شرعاً وأدباً وان قصد الكل فدائرة الخيال واسعة وما باللسان عظم «ولكل مقام مقال».

الشاعر الكبير الاستاذ المحترم :

قريض البروني مثله العين لن ترى — فسبحان من أعطاه عقلا وصورا
إذا قرأ القاري غريب نظامه — فليس عجيب إن غدا متحيرا
فيا شعراء العصر بالله فانظروا — إلى الشعر والادراك كيف تغيرا
سلام على الآداب حيث تقدمت — بشعر سليمان البروني كما ترى
معان هي السحر الحلال وفكرة — تريك الدراري في الصحيفة أسطرا
تجلى بها رب البيان فاشرقت — وباتت عن الأقمار أجمل منظرا
اليك كبير الشعر صدق شهادة — وان كنت تدعى في البرية أشعرا
لك الشعر هذا الشعر إن قال مثله — سواك على الأيام تاه تكبرا

•

الفهامة الشيخ أحمد الفساطوي (الطرابلسي الأزهري) .

قد تلقينا التقريظ الآتي بما فيه من آلاء المنثور ومكنون المنظوم من هذا الاديب الجليل بكل شكر واحترام قال حفظه الله :

نظرت أيها الصديق في ديوانك روض الآداب والحكم . وهو مبتسم الثغر عن تلك المعالي والهمم . فوجدته قد حاز رتبة الاعجاز والابداع. وأصبح حياة القلوب والاسماع . فحق أن يقتدي بك الشعراء ولا فخر . ويتصدع من مهابة صدعك بالحق قاسي الصخر . أبقاك الله مشرقاً للفضائل وملجأ للآداب والمعارف . وجعلك قرة عين لكل متنور عارف .

تشرفت مسروراً بشعركم الأسمى — وما هو إلا الدر ترقمه رقما

تطوقت الأعناق من سمط نظمه فأعظم به ذخراً وأكرم به علما
لقد فاق نظم (الحضرمي) وقدغدا يزيل عن الألباب من نوره الوهما
فدم (أسداً) شاكي السلاح مؤيـــداً
حليف الهدى تختال في المركز الأسمى
ونور بهاتيك المراشد عنصراً به يزدهي التاريخ لكن عفا ظلما
فخذها (سليمان البروني) فريدة شهادة خل مخلص صاغها نظما

●

الأديب الفاضل برنس الله أفندي .

جاءتنا الأبيات الآتية من هذا الشاعر المجيد فتلقيناها بكل إجلال ونصها :

قريض (سليمان البروني) حكمة لكل قلوب العالمين مدى الدهر
(وديوانه) يحكي الزواهر في السنـــا
هو اللؤلؤ المنظوم مع جوهر النثر
ولا غرو إن كان الذي قد اتى به إلينا بهذا العصر من أعجب الشعر
فهذا (سليمان البروني) ذو التقى وذو العلم والفضل العظيم بلا فخر
وهذا الذي ما مثله اليوم في الحجا هو الكيس اختار العلوم عن الوفر
أرى المتنبي قد حكى در لفظهِ بعالم أشباح الورى حيث لاندري
فهذا نطاسي الزمان مقدم على كل سام في النباهة والفكر
وهذا هو الاستاذ والعلم الذي سرى ذكره في سائر البر والبحر

فساق إلينا ما نروم من الشعر وسقنا اليه ما يروم من الشكر

●

العلامة الشيخ حسين الرفاعي المحلاوي المدرس بالأزهر الشريف .

تفضل هذا الأستاذ الكامل الجليل علينا بالتقريظ الآتي وهو ممن عرف بالمقدرة في كثير من الفنون النافعة جزاه الله خيراً .

أفضل ما خط اليراع حمد الله الواجب الحمد ، وأوسع ميدان تتسابق فيه جياد الأقلام الصلاة على نبيه فياض الجاه والمجد « وبعد » فقد أسعدني الحظ بالارتاء إلى بستان يانع الثمار ، معنبر الأزهار

(يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظرا)

حديقة أدب وكلم ، وأحسن ما سمع وفهم ، ألا وهو ديوان الخطيب المصقع الناثر الناظم واللسن الكاتب المجيد الحميد ، الذي ملك زمام الأدب والخطابة والبلاغة ، نظمه أزرى باللؤلؤ الثمين ، وكتابته فاقت كتب الأولين والآخرين ، جمع ديوانه رشاقة المعنى وجمال الألفاظ وحسن الاختيار وجدد نهضة الشعر العربي التالد فكأننا في زمن الأخطل وجرير ، والفرزدق الشهير ؛ فلم يبق لشاعر بعده كلام ، ولا لشجاع أن يتقلد بحسام « وقطعت جهينة كل خطيب » ، فلو كان للأدب والزمان ألسن لحيت هذا الذي أحيى لنا موات الشعر ، فأنفنا أن نسمع بعد كلامه شيئاً من النظم والنثر .

لله درك يا عين الوجود ويا بحر المعارف والاحسان والكرم
سموت بالعلم والتقوى فصرت على هدي وكنت إماماً عالي الهمم
اسمعتنا دراً تروي لنا ظمأ سميت من بيننا بالمفرد العلم
لك الفخار (أيا بارون) ما صدحت
حمائم الايك فوق الغصن والأكم

لأنت خير خطيب قام يرشدنا ... يا طائر الصيت في عرب وفي عجم
لو الكواكب تدنو لي فأنظمها ... عقود در لما وفيت في كلمي

لا زالت ألوية الأدب بأفكارك عالية ، ومنارة العلم بك مزينة سامية ، فجزاك الله خير الجزاء ، ووفيت ما ترغب لنفسك من النعماء .

•

العلامة الفاضل الأديب أخونا الشيخ سعيد الباروني .

أهدانا حضرة هذا الأخ الكامل القصيدة الآتية وهي من نفيس أشعاره وجواهر أفكاره وهو حفظه الله من جملة الذين ألزمونا بطبع الديوان ونشره فله كل شكر جزيل :

حسن الطبع وعجل ... بكتاب الشعر فاقا
فنفوس الناس ذابت ... له من قبل اشتياقا
والحجا لما رآه ... يعلم الله مالاقا
كيف لا والحسن طراً ... فوقه مد رواقا
حوت الألفاظ منه ... كل مارق وراقا
لو به سحبان يدري ... له تالله لتاقا
حكم فيه تعالت ... تزري بالنيل اندفاقا
حكمت الورد ابتساماً ... وكذا العقد اتساقا
صار للارشاد والنـ ... ـصح وللمدح نطاقا
ما به عيب سوى أذ ... ـه كالراح مذاقا

للحجا سحر وللخـ ... ـم زعاف لن يطاقا
روضة النفس وأنس ... للذي الآداب ذاقا
فاجهد النفس على اتـ ... ـمامه فالوقت ضاقا
علنا نحظى به مـا ... دمنا في مصر رفاقا
عائق الأيام نخشى ... ونخاف الافتراقا
وانبذ العاذل ظهريـ ... ـاً لكي يفنى احتراقا
لا يقول الشعر إلا ... منه عجباً وارتزاقا
واهجر القادح فيه ... يحسب الشهد بزاقا
عابت البدر أنـاس ... إذ رأوا فيه المحاقا
وكذا القرآن قالوا ... إنه الإفك اتفاقا
صاح ذا صوت رجائي ... بلغ السبع الطباقا
فاسعفن بالطبع واسلك
ما ترى فيه الوفاقـا

•

العلامة الفيلسوف الشيخ طنطاوي الجوهري مؤلف التاج المرصع وجواهر العلوم وغيرهما من المؤلفات الجليلة .

تكرم هذا الاستاذ الفاضل علينا بالأبيات الآتية مقرظاً ومستلفتاً نظرنا إلى الحال الحاضر فله الفضل .

يا أيها الشاعر المطبوع قد ظهرت ... لك المحامد في العليـــا وفي السند
بنيت بالشعر حصناً قد حللت به ... في دولة (الفرد) أعلى جبهة الأسد
أما وقد نزل (الدستور) منزله ... وانقذ العلم من بغي ومن حسد
فجِد عن المنهج المعروف[1] وارم به ... وأرشد العرب للمثلى ولا تحـد
وصل به صولة في أمة رقدت ... فاكثر الشعر لم يثمر ولم يفد[2]

•

العالم المحترم الشيخ عبد الحميد الضوي (الأزهري).

جاءتنا من هذا الأستاذ الفاضل الجليل هذه الأبيات العالية فله الشكر:

لله ديوان تكامل حسنه ... بالطبع قـد أزرى بكل ثمين
در نود بأن يرى لقريضنا ... عقـــداً، وللآداب عين عيون
لا غرو إذ قد صاغ جوهر لفظه ... شهم سمـــا، للعلم خير معين
لما دنا للطبع قلت مؤرخاً ... تم الهنا أحسنت (يا باروني)
سنة: ١٣٢٦ ٤٤٠ ٨٧ ٥١٩ ٢٨٠

•

(١) هو منهج التستر والتملق.

(٢) أي شعر هذا العصر لخلو كثيره من التصريح بالحق والنصيحة النافعة.

الشاب الأديب أخونا قاسم أفندي الباروني بمصر.

أهدانا حضرته من نفيس أشعاره الثمينة القصيدة الآتية وله كل ثناء وشكر:

ديوان شعر فتى البلاغة مشرق ... كالروض تاه الطرف فيه قريرا
شاهدت منثور النجوم قلائداً ... تنسيك تاجاً باهراً ونضيرا
ولمحت فوق صحائف من فضة ... درّاً يتيماً قـــد تألق نورا
قد جاء في الديوان كل عجيبة ... نظماً جليلاً شئت أو منثورا
فهو السموأل إن أتى بقصيدة ... وهو البديع إذا نوى التحريرا
إنا تملنا من تلاوة شعره ... فكأنـه العنقود سال خمورا
لا تعجبوا ممن سيوف يراعـه ... قد فلقت كعصا الكليم بحورا[1]
هذا (سليمان) الزمان فليتني ... كنت اليراع بكفه المحذورا
يا قوم هـذا شاعر من شاعر ... نشر الفرزدق شعره وجريرا
قد أبكم الشعراء نظم يراعه ... وأعاد للشعر الشباب نضيرا
أقسمت نابغة الزمان قد ستوى ... حقاً على عرش القريض أميرا
يا واحد الشعر ائتد في أمـة ... عرفت بمصر جلالك المسطورا
أبرزت في روض الحسان عرائساً ... فتانة قـــد يزدرين الحورا

(١) بحور وزن الشعر.

كل الدواوين الشهيرة أنجم والبدر هـــذا كاشف ديجورا
راقت محاسن طبع ديوان حوى حكماً وأمثـــالاً تقيم دهورا

•

المهذب الكامل والمنشىء البارع محمود أفندي صبري المصري بدائرة والدة جناب الخديوي المعظم .

جاد علينا هذا الأديب الجليل بالتقريظ الآتي وهو من بعض قطرات قلمه السيال ومحرراته البديعة العالية فله الثناء العاطر . قال :

تفضل حضرة صديقي الأستاذ الفاضل الشيخ سليمان أفندي بن الشيخ عبدالله البارودي صاحب جريـــدة « الأسد الإسلامي » وأهداني ديوان شعره الموسوم بديوان (البارودي) — وقبلاً كنت أعرف الأستاذ شاعراً فحلاً ، وكاتباً جزلاً يتغزل فلا يدع فضلاً لابن أبي ربيعة في نسيبه وتشبيبه ، ولا لصريع الغواني في رقة أسلوبه ، ولا لأبي الطيب في حكمته وأمثـــاله ، ولا لابن هانىء في وصفه وإتقانه — على أن الأستاذ شاعر اجتماعي عصري أطلق شعره من أسره وتقييده ، فلم ينبش عليه في الآثار ولم يطلبه بين أطلال الديار ، بل اتخذ منه شباة يرهف بها تلك النفوس الجامدة الغليظـة ، فظهرت له الآية التي نسخت آية الشعراء ، وسطع له هلال في كل سماء .

ولقد أحسن حيث أنزل الشعر محله فلم يتسوق فيـه ولم يتبذل فبينما نراه ينشده في صاحب الخلافة ، إذ هو يحيي به رب الوزارة ، إلى أن يرتقي بـــه ذروة الخطابة . (وهلم جراً) .

فجزى الله الأستاذ خير الجزاء وجزاه الخير وأثابه على هذه المنة التي طوق بها جيد الشعر ، وأطلع له كوكباً متألقاً في سماء الدهر .

•

وقال شقيقي الفاضل الشيخ يحيى البارودي :

أراك أخي بالدهر غير مبال وقـــد ذقت منه المر بضع ليال
ألست الذي بالسجن كنت معذباً قبضت وذاك الخصم فيك مغال
تناسيت أم لا زلت تبدي تجلداً كما كنت أم أمنت مكر رجال
أيلدغ من جحر مراراً مجرب فتى قد غدا في الناس خير مثال
نشرت بديوان البروني فرائداً هي الشهد معنى وهي سمط لآل
هي السحر بل كالخمر حل شرابها ولكنها (سيف) دعا لنزال
أراك تنادي بالرحيل مؤملاً بواسطة (الدستور) خير مآل
أصبت ولكن التـاني محتم ومن يحترس يظفر بكل كمال
فكن حذراً ما دمت حياً مسالماً فأنت بعصر لا يسر بحـال

فقلت :

صدقت أخي (والنجح منك مؤمل)
نظمت فكان النظم أحسن فـــال
وحذرتنـــا لكن (زمان بأهله)
مضى وأتى عصر سما بهـــلال
مضى الضغط مذ أرضى المليك (نيازياً)
ولبى الندا منـــا بدون قتـــال
فلا خوف إن رمنا الصلاح ومامضى مضى وصفا للحر كل مجـــال

فزر وطن الأجداد وارفض بهمة
وساوس جبن لا تليق بجال
وقل مرشداً ما شئت واصلح كما تشأ
وقل « فليعش دستورنا » بجلال

•

الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد الطيب البشتي الطرابلسي الأزهري .

جاءنا والملزمة تحت الطبع من حضرة هذا الأستاذ هذا التقريظ الطافح بلاغة المتدفق فصاحة فقلنا هو خاتمة التقاريظ (وختامه مسك) قال :

وبعد ، فقد تصفحت « ديوان الباروني » لذلك المفرد العلم ، من أخجل السيف بالقلم ، الشيخ سليمان الباروني النفوسي ، الذي إذا قال فلا غرو إن هجر قول غيره وتنوسي ، فوجدته من السحر الحلال لا تكلف فيه ولا تعقيد ولا محال وذلك أكبر دليل على ذكاء ناظمه ونبله وكأن الشاعر بقوله :

أبيات شعرك كالقصور ولا قصور بها يعيق
ومن العجائب لفظها حر ومعناها رقيق

بل لا عجب فالدر من معدنه لا يستغرب ولا بدع إذا قلنا : إن أعذب الشعر ما كان أصدق لهجة لا ما كان أكذب . ولما سمعت منه المرقصات المطربات قرظته بهذه الأبيات :

ديوان شعر قد أتى بفنون وحوى فرائد لؤلؤ مكنون

تجري معانيه إلى الأذهان في كلماته وتسيل سيل هتون
آياته شهدت بفضل علا سلي مان الأديب الكامل الباروني
نظمت بنان بيانه هذا الكلا م فكان ديواناً رفيع شؤون
بل جاء ديواناً يسر أولي النهى طبعاً ويطفىء لوعة المحزون



الشيخ سليمان الباروني في آخر لقاء مع أسرته في آخر يوم سافر فيه ليلاقي أجله.

من اليمين : عز الدين ابراهيم الباروني ثم جده ثم طارق ابراهيم الباروني .

ابوقوف : عيسى عبود (يعمل في البيت) ثم معروف (طباخه) .

وهو يوم مولد النبوي ﷺ ١٢ ربيع الأول .

أما وفاته فكانت في ٢٣ ربيع الأول الموافق أول مايو سنة ١٩٤٠م . أما رجوع رفاته إلى طرابلس ففي أول محرم سنة ١٣٩٣هـ.